8030

ثاقـل

العدد
رابع والتسعون
شباط ١٩٨٨

الكاتب ٩٤

للثقافة الانسانية والتقدم

- نظرة على بعض اصداء انتفاضة الاراضي المحتلة
- الامن المائي في الضفة الغربية. دراسة مختصة لهيدرولوجية الضفة الغربية
- انهيار سوق الاوراق المالية ونجاح قمة واشنطن ، فشل للريغينية
- حركة عدم الانحياز في النضال من اجل الاستقلال وضد الامبريالية وفي سبيل السلام.
- التبادل اللامتكافيء والتنمية الاقتصادية في اطار العلاقات الاقتصادية الدولية الراهنة.
- جرائم النساء
- الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية
- منظمة التحرير الفلسطينية : التاريخ والاستراتيجيات
- الحركة المسرحية في المناطق الفلسطينية المحتلة

الفلسطينيون قالوا كلمتهم
فهل هناك من لم يسمع ؟!

Digitized by Birzeit University Library

● يقدرون على كسر الاقفال. ولكنهم يعجزون عن كسر الاضراب ●

(صورة من «و.ص.ف.»)

Digitized by Birzeit University Library

94

المحرر المسؤول
رئيس التحرير
أسعد الاسعد

هاتف: ٢/٨٥٦٩٣١.
ص.ب ٢٠٤٨٩
القدس

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	أوروبا	بلدان أخرى
للافراد	٢٥	٤٠	٥٠
للمؤسسات	٥٠	١٠٠	١٥٠

NO. 94 Fibruary 1988 - العدد - ٩٤ شباط ١٩٨٨ - السنة التاسعة

Digitized by Birzeit University Library

المحتويات

سياسة

الفلسطينيون قالوا كلمتهم فهل هناك من لم يسمع ؟!
* أسعد الاسعد* ٤

نظرة على بعض اصداء انتفاضة الاراضي المحتلة
* منير سلام * ٨

دراسات وابحاث

الامن المائي في الضفة الغربية. دراسة مختصة لهيدرولوجية الضفة الغربية
* مهندس عبد الرحمن التميمي * ١٧

جرائم النساء
* د. محمود عقل * ٧٤

مداخلات

انهيار سوق الاوراق المالية ونجاح قمة واشنطن ، فشل للريغينية
* سمير البرغوثي * ٤٤

حركة عدم الانحياز في النضال من اجل الاستقلال وضد الامبريالية وفي سبيل السلام.
* محمد ابو شمعة * ٥٣

التبادل اللامتكافيء والتنمية الاقتصادية في اطار العلاقات الاقتصادية الدولية الراهنة.
* ربحي محمود الحمدوني * ٦٣

Digitized by Birzeit University Library

الاراء المنشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مجلس التحرير

مراجعة كتب

الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية
« محمد مناصرة » ٣٢

منظمة التحرير الفلسطينية : التاريخ والاستراتيجيات
« د.عبد القادر حسين ياسين » ٧٢

مسرح

الحركة المسرحية في المناطق الفلسطينية المحتلة
٣ - مسرح الورشة الفنية
« اعداد/ جميل السلحوت » ٨٢

قصة

عائشة والبلاد
« محمود شقير » ٨٨

وتطلق الريح العنان لعهرها المعهود منذ ايام ادم ونوح والطوفان.
« وليام فوسكرجيان » ٩٢

شعر

القدس في البال
« جميل مكحل » ٩٤
المنفى
« مفلح طبعوني » ٩٥

Digitized by Birzeit University Library

كلمة العدد

الفلسطينيون قالوا كلمتهم فهل هناك من لم يسمع؟!

اسعد الاسعد

الانتفاضة الشعبية العارمة ، التي اجتاحت مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين . منذ مطلع كانون الاول الماضي ، دفعت الامور باتجاه مغاير تماما ، لاهداف ومخططات اقطاب التسوية الانفرادية . والتي قضوا من اجل تهيأة الاوضاع وملاءمتها لاهدافهم ردحا من الزمن ليس بالقليل ، تلك حقيقة لا يمكن لاحد تجاهلها ، او التغاضي عنها ، او فهمها بالمقلوب واذا كان بعض المسؤولين الاسرائيليين وغير الاسرائيليين . يصرون على ان الانتفاضة جاءت تعبيرا عن الاحباط واليأس الذي تراكم في نفوس الفلسطينيين على مدار عشرين سنة من الاحتلال ، او محاولة البعض منهم تصوير الانتفاضة وكأنها تبرم وضيق من الاوضاع المعيشية السيئة ، وخصوصا لدى القاطنين منهم في المخيمات ، او محاولتهم تصوير الانتفاضة بأنها جاءت تعبيرا عن خيبة امل الفلسطينيين من نتائج مؤتمر القمة الاخير في عمان ، وغير ذلك من تحليلات اقل ما توصف بها ، البعد عن حقيقة الدوافع التي حدت بالفلسطينيين للخروج الى الشوارع ، بكل هذا الزخم والعنفوان ، فهم جد واهمون ، وقصيرو النظر فالشعب العربي الفلسطيني ، شعب يبحث عن حياة حرة كريمة ، وشعب كهذا لا يسعى الى تقديم اكثر من خمسين شهيدا واكثر من اربعمائة جريح ، واكثر من ثلاثة الاف معتقل لمجرد التعبير عن يأسه واحباطه ، اذ ان اليأس والاحباط يدفعان الى الركون والاستسلام ، ثم اذا كان الامر كذلك ، فبماذا يفسر اصحاب هذه الدعاوي ، التضامن الشعبي غير المحدود - ماديا ومعنويا - مع المتضررين جراء قمع الجيش الاسرائيلي للانتفاضة.

لماذا يصر هؤلاء ، على التمسك باوهامهم وخيالاتهم ، على الرغم من وضوح الاسباب والدوافع التي حدت بالشعب الفلسطيني الى تفجير انتفاضته ، والاعراب عن غضبه ؟! لماذا لا يرون ان عشرين سنة من الاحتلال ، لم تستطع تطويع هذا الشعب واخضاعه ؟ لماذا لا يرون ان الشبان الذين يقاومون الاحتلال بكل هذا الاصرار على انهائه ، هم الجيل الذي ولد وترعرع تحت الاحتلال؟!

ان ما فعلته الانتفاضة رغم التضحيات الجسيمة ، يفوق كثيرا من التوقعات ، سواء على

Digitized by Birzeit University Library

الصعيد الفلسطيني ، او الاسرائيلي او الدولي ، ولا شك ان على المسؤولين الاسرائيليين ، ان يعوا من جانبهم ، ان الانتفاضة التي دفعت اكثر من مئة الف من الاسرائيليين الى التظاهر في تل ابيب ضد الاحتلال،ومن اجل حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني، واكثر من خمسين الف عربي في الناصرة وخروج السوريون العرب في الجولان المحتل في نفس اليوم ١٩٨٨/١/٢٣ في مهرجان وتظاهرة عبرت عن الوقوف الى جانب الشعب الفلسطيني في انتفاضته ضد الاحتلال ليست انتفاضة يأس واحباط كما يحلو للبعض ان يصفها. ان رؤية هذه المتغيرات وغيرها مهمة لفهم الحقيقة، والبحث عن صيغ عقلانية ، تستند الى هذه الحقائق الموضوعية ، والمتغيرات الجوهرية ، وعدم الاستمرار في وهم البحث عن ادوات واساليب للسيطرة وفرض وقائع اثبتت الاحداث عدم جدواها وبطلانها.

من جانب اخر ، وبعد مرور شهرين على الانتفاضة ، يجدر اخذ العبر والتوقف عند مغزاها ، ومضمونها ، خصوصا وان بعض اقطاب نهج التحرك السابق ، ما زالوا في حالة من الترقب وانتظار جلاء الامور ، على امل مواصلة تحركهم بنفس الروح التي سادت قبل الانتفاضة ، ونحن على يقين من ان هؤلاء - او بعضهم على الاقل - فهموا الرسالة التي وجهها الفلسطينيون عبر انتفاضتهم ، اذ ان هذا الحدث الهام والمركزي لا بد ان يدفع بالعديدين ممن كانوا يدلوهم بدلوهم ، او يخططون لمستقبل المنطقة على هواهم. الى اعادة النظر في حساباتهم ، وتقييماتهم السابقة ، والتي درجوا عليها حتى الان ، وعلى رأس هؤلاء المسؤولون الاسرائيليون ، وحكام مصر ، وكذلك النظام الاردني ، بالاضافة الى الادارة الاميركية ، ولا شك ان هؤلاء ، اصيبوا بخيبة امل ، وهم الذين رأوا في حالة الهدوء النسبي الذي ساد المناطق المحتلة ردحا من الزمن ، عاملا مشجعا للمضي في دفع عجلة مخططاتهم ، وتصعيد وتائر عملهم باتجاه فرض حل ، اقل ما يقال فيه ، انه لا يأخذ بعين الاعتبار ادنى حساب للحقوق الوطنية والقومية للشعب العربي الفلسطيني . الى حد اوقع الكثيرين في وهم خطط التنمية المزعومة ، وتحسين ظروف المعيشة ، وغير ذلك من مسميات الحلول والخطط ، بحيث اخذت بعض هذه الاوهام طريقها ، وشجعت على ذلك ، ظهور بعض النتائج الشكلية . بعيدا عن المضامين الحقيقية للتغيير والتحسين والتنمية

وروج بعض المستفيدين والمرتزقة والمنتفعين من هذه البرامج ، بشكل دفع بالعديدين الى الاعتقاد بان الامور تسير على النحو الذي خططوا له ورسموه ، فراحوا يوغلون في خططهم الهادفة الى التمهيد لحل قادم عبر الاردن ، وباي شكل من الاشكال ، داعمين موقفهم ، ومستندين الى ما تناقلته الانباء عن اتفاق تم بين حسين وبيرس ، وبتوجيهات من اجهزة النظام الاردني. راحوا يعززون نفوذ الملك في الضفة والقطاع بشكل سافر وعلى رؤوس الاشهاد ، وتحت سمع وبصر سلطات الاحتلال ، بل وبتشجيع منه في كثير من الاحيان ، ثم ما تبع ذلك من نجاح الملك حسين - ولو جزئيا - في اخراج النظام المصري من دائرة المقاطعة العربية عبر مؤتمر القمة الاخير ، كل ذلك وغيره ، اوقع الكثيرين في شرك الوهم القائل بامكانية تجاوز الشعب الفلسطيني ، والتغاضي عن حقوقه الوطنية المشروعة ، وعلى رأسها حقه في تقرير المصير واقامة دولته المستقلة ، الا ان الانتفاضة الشعبية العارمة ، التي شهدتها الضفة الغربية وقطاع غزة طوال الشهرين الماضيين ، وبشكل لم يسبق له مثيل ، جاءت مخيبة لامالهم ، محبطة لمشاريعهم ، ومخططاتهم ، واكدت لهم جميعا ، ان الصمت ، لا يعني بالضرورة القبول بالامر الواقع.

ولا شك ان الانتفاضة كانت مفاجئة للحكومة الاسرائيلية ، بقدر ما كانت مفاجئة ايضا

Digitized by Birzeit University Library

للنظامين الاردني والمصري ، ولذا فقد تميز الاعلام في كلا البلدين بالتروي ، وعدم الخوض في تفاصيل الانتفاضة طوال ايامها الاولى على الاقل ، متخذة جانب الحيطة والحذر ، ثم حين ادركت ان الانتفاضة اخذة في التصاعد ، لم يكن بمقدورها التغاضي عما يجري ، فركبت الموجة ، وسخرت وسائل اعلامها لنقل وقائع احداث الانتفاضة ، ذلك انهم توهموا ان ما يجري ، انما هو موجة عابرة ، لن تدوم اكثر من ايام معدودة ثم لا تلبث ان تهدأ ، فيعودون الى سابق عهدهم ، ويمضون في تنفيذ مخططاتهم ، وامعانا منهم في سياستهم ، اصدروا الاوامر بمنع اي مظهر للتضامن مع الانتفاضة ، وسخروا كافة الاجهزة لقمع اي تحرك يهدف الى الاعراب عن تضامن كلا الشعبين الاردني والمصري مع الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع ، وكان على اجهزة المخابرات الاردنية لمنع ذلك ان تعتقل المئات ، وتزج بهم في سجن الجفر الصحراوي واحباط اية محاولة للتظاهر او الاعراب عن التضامن باي شكل من الاشكال ، بالاضافة الى المظاهر العسكرية ، من تسيير الدوريات في الشوارع ، وتكثيف تواجدها حول المخيمات الفلسطينية في الاردن ، تحسبا لاي طاريء ، ومنعا لاي تحرك ، وقد احبطت المخابرات الاردنية ، محاولات عديدة ، قام بها سكان المخيمات الفلسطينية خاصة في البقعة والوحدات وشنلر ومخيم اربد ، كما احبطت محاولة بعض الشخصيات الوطنية تنظيم مسيرة احتجاج امام السفارة الامريكية ، استنكارا لموقف الادارة الاميركية . كما حاول عدد من المبعدين تنظيم مسيرة احتجاج امام نقطة العبور عند جسر اللنبي ، لكنها احبطت هي الاخرى ايضا.

اما في القاهرة ، فقد قامت الشرطة المصرية بتفريق عدة مظاهرات قام بها الطلبة والمحامون والمهندسون ، واعتقلت المئات من طلبة عين شمس. لكن هذه الاجراءات القمعية ، لم تحل دون قيام المتظاهرين باحراق العلم الاسرائيلي امام السفارة الاسرائيلية ، ورفع شعارات تطالب بقطع العلاقات مع اسرائيل.

وكانت اجهزة القمع التابعة للنظام المغربي ، اشد قسوة في قمعها للمتضامنين مع انتفاضة الشعب الفلسطيني ، اذ اطلقت النار عليهم ، فقتلت وجرحت اكثر من ثلاثة وعشرين شخصا.

من جهة اخرى ، وعلى الصعيد الاسرائيلي ، فان الانتفاضة ايقظت عددا من الاسرائيليين الذين ظنوا ان الامور تسير على احسن وجه ، ورغم ان عدد هؤلاء ليس كثيرا ، الا ان صوتهم كان مسموعا ، وهم يطالبون بالانسحاب من الضفة والقطاع ، مستنكرين تصرفات الجيش الاسرائيلي في المناطق المحتلة ضد المواطنين الفلسطينيين ، من جانب اخر . فقد عمقت الانتفاضة الفرز داخل المجتمع الاسرائيلي تجاه الاراضي المحتلة ، الامر الذي سوف ينعكس على طروحات الكتل والاحزاب الاسرائيلية ، في الحملة الانتخابية ، المقرر اجراؤها بعد اشهر.

ولا يعني هذا ، ان تحولا ايجابيا ملموسا ، سوف يتبلور نتيجة ذلك ، بل ان الاستفتاءات المختلفة تشير الى تصاعد المواقف المتطرفة حيال الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية ايضا ، وفي الجانب الرسمي ، فان المسؤولين الاسرائيليين ، ابدوا تمسكهم برفض الانسحاب ، ورفض الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني ، وذهب بعضهم ابعد من ذلك ، حيث عاد شارون الى التلويح بالطرد الجماعي - الترانسفير - واقامة وطن للفلسطينيين في الاردن ، اما شامير ، فقد حاول تصوير القضية . على انها قضية تحسين ظروف المعيشة للاجئين مطالبا بمساعدة الدول العربية والاوروبية ، لتحسين اوضاعهم ، وبعضهم الاخر طالب بتشديد القبضة الحديدية ، وتصعيد القمع ضد الفلسطينيين.

Digitized by Birzeit University Library

ومن جانب اخر ، وقف حزب العمل - وهو الذي يبدو وكأنه اقل تطرفا ، للوهلة الاولى - عند نفس المواقف السابقة ومضمونها ، فهو لا يزال يجهد نفسه في البحث عن قيادة - معتدلة - تخرج من بين سكان الضفة والقطاع ، تأخذ على عاتقها القبول بما يمليه حزب العمل ، ولعل قراءة سريعة في مواقف الطرفين - الليكود والعمل - تضعنا امام فريقين تجمعهما كثير من المواقف حيال اساسيات الحق الفلسطيني ، وعلى رأس ذلك ، رفضهما الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني ، ورفضهما التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، ورفضهما كذلك ، الاعتراف بحق الشعب العربي الفلسطيني في دولة مستقلة بأي حال من الاحوال ، وتمسكهما بمبدأ التفاوض المباشر مع الاردن.

الا ان الامر مختلف هذه المرة ، ذلك ان الانتفاضة كان لها مردودها الذي لا يمكن تجاهله ، اذ ان الصمت الذي ساد العواصم الغربية ، بشكل بدا وكأنه مباركة منها لخطة الادارة الاميركية ، انفجر على نحو لم يكن بمقدور احد ان يتوقعه ، فالتصريحات والمواقف التي عبر عنها عدد كبير من المسؤولين في العواصم الغربية ، تدين الموقف الاسرائيلي ، وتطالب بالانسحاب الفوري ، وتمكين الشعب الفلسطيني من تقرير مصيره ، كما ان المظاهرات العارمة التي اجتاحت هذه العواصم ، والتي عبرت عن تضامنها مع الشعب الفلسطيني . وغضبها ورفضها للاحتلال ، لا يمكن ان تمر دون ان تترك اثرها على مجريات الامور لاحقا ، يضاف الى ذلك ، القرارات المتعاقبة التي اتخذها مجلس الامن الدولي ، والتي تؤكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، وتطالب بوضع حد للاحتلال الاسرائيلي ، الامر الذي لا يمكن لعاقل ان يتجاهله ، خصوصا ، وان هذه المواقف الجديدة ، تصدر عن اصدقاء اسرائيل ، الذين وقفوا الى جانبها طوال الاربعين سنة الماضية ، فان كان بمقدور المسؤولين الاسرائيليين تجاهل الشعب الفلسطيني بشتى الوسائل والاساليب ، فلا يمكن ان يقبلوا لانفسهم وليس بمقدورهم تجاهل الرأي العام العالمي ، او تجاهل اصدقائهم في العواصم الغربية.

من جانب اخر ، فان الانتفاضة جاءت لتذكر اولئك الذين اعتقدوا ان الطريق الى حقوقنا المشروعة ، يمر عبر عضوية بلدية القدس ، او المطالبين بالضم الكامل ، او بالترويج لعودة الملك حسين الى الضفة والقطاع ، وغير ذلك من طروحات طوباوية . ليست الا وهما ما لبث ان تبدد مثل غيمة صيف ، ولا نظنهم الان ممعنين في سرابهم ووهمهم. ذلك ان الانتفاضة عبرت وبشكل واضح لا لبس فيه ، ان لا طريق للخروج من هذا الواقع ، بغير تمكين الشعب العربي الفلسطيني من تقرير مصيره ، واقامة دولته الوطنية المستقلة ، وحتى يتحقق ذلك ، فان على الجميع ان يملكوا الشجاعة للاعتراف بان المؤتمر الدولي بمشاركة كافة الاطراف المعنية وعلى رأسها منظمة التحرير الفلسطينية ، هو السبيل الممكن والوحيد ، للتوصل الى حل عادل وثابت ومقيم، يضمن حق جميع شعوب المنطقة في الحياة الحرة الكريمة.

Digitized by Birzeit University Library

نظرة على بعض اصداء انتفاضة

الاراضي المحتلة

- منير سلام -

اثارت الهبة الجماهيرية التي تشهدها المناطق المحتلة منذ مطلع كانون الاول الماضي اصداء وردود فعل محلية وعربية وعالمية. عكست تعبيرها الساطع في التضامن مع سكان المناطق الفلسطينية المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة . من جهة اخرى فقد كانت ردود الفعل الاسرائيلية متفاوتة وان كانت في غالبيتها متشددة مطالبة بتصعيد القمع ضد سكان هذه المناطق.

ونحن اذ نرصد اصداء هذه الانتفاضة ، فاننا لا ندعي باننا نغطي كل جوانب هذه الاصداء نظرا لكون الانتفاضة ما زالت مستمرة حتى كتابة هذه السطور من جهة ، ومن جهة اخرى لان هذه الاصداء ما زالت تتواصل وتتفاعل في مختلف بقاع المعمورة. ولهذا فاننا نرصد هنا ونشير الى اهم هذه الاصداء.

محليا:

ان الانتفاضة اثبتت مجددا ان شعبنا الفلسطيني قادر على العطاء والتضحية من اجل تحقيق اهدافه في التحرر واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كما واثبتت فشل كل المحاولات الاسرائيلية والاردنية التي حاولت تصوير "حسنات" الاحتلال و"تحسين ظروف المعيشة" في ظله ، وكذلك افشلت مؤامرة التقاسم الوظيفي بين النظام الاردني واسرائيل.

ان هذه الانتفاضة اكدت ان الشعب الفلسطيني لا يمكن ان يتنازل عن حقوقه ، ولا يمكن ان يكون هناك تحسين حقيقي لمعيشته في ظل الاحتلال ، وان اي حل لا يأخذ بعين الاعتبار هذه الحقوق لا يكتب له النجاح ولن يعمر طويلا والتاريخ نفسه يؤكد ذلك حيث جرى في مرا عديدة تجاهل مثل هذه الحقوق من قبل الولايات المتحدة واسرائيل والرجعية العربية ، وفي كل

Digitized by Birzeit University Library

مرة تخرج القضية الفلسطينية الى السطح وتبرز اهميتها واولويتها في الصراع في منطقة الشرق الاوسط.

ان الانتفاضة هذه تختلف عن غيرها من الانتفاضات السابقة التي كانت تشهدها الاراضي الفلسطينية المحتلة سواء من حيث الحجم والاتساع او الاستمرارية والشمولية. حيث شارك فيها غالبية فئات وطبقات الشعب المختلفة من رفح حتى جنين ، لدرجة ان اوساطا مسؤولة في الجيش الاسرائيلي وصفتها ب "الحرب الصغيرة" كما ذكرابي بنياهو في صحيفة "عل همشمار".

وفي مقابلة نشرتها صحيفة الاتحاد "الحيفاوية" بتاريخ ٨٧/١٢/١٧ مع الصحفي مكرم خوري مخول الذي يعمل في صحيفة "معير" التي تصدر في تل ابيب والذي اصيب ايضا نتيجة الضرب من قبل جنود الجيش الاسرائيلي ، قال :"رأيت بأم عيني محامين ومهندسين وغيرهم يلفون الكوفيات على وجوههم ويرجمون الجيش الاسرائيلي جنبا الى جنب مع الشبان والفتيان ". وفي مكان اخر من المقابلة يصف هذا الصحفي كيف ان الانتفاضة كانت منظمة ، ويصف مساهمة النساء والفتيات فيها ، فيقول: "كانت المعارك ضد الجيش في فندق السكان ، موزعة على النحو التالي :في الخط الامامي : يتواجد شباب ، وفي الخط الثاني يقف المتقدمون في السن، وفي الخط الثالث النساء والفتيات .. فاذا صدرت الاوامر حجارة ! لا يكلف الشباب انفسهم بالبحث عنها فهي تصلهم من الخط الثالث عبر الخط الثاني. واثار انتباهي واعجابي بما تقوم به النساء من دور في معركة الانتفاضة ، فالنساء هن اللواتي يعتنين بالجرحى ويتزودن بالضمامات ويزودن الرجال بسلاح المعركة : بالحجارة".

شهادات حية

يروي الصحفي مخول بعض مشاهداته فيقول:"في الطابق الثاني من المستشفى - مستشفى الشفاء (المقتبس من الكاتب) كان هناك شابا يشكل هدفا لرصاص الجنود ، فحاول التخلص من هذا الوضع بأن قفز على الارض ، فادركه الجنود في ساحة المستشفى ، وعندما رأى الشاب ذلك واجه الجنود وفتح قميصه قائلا: اطلقوا النار! ولم يتأخر الجندي فصوب رشاشه واطلق النار ، فسقط الشاب مخضبا بدمه ..".

وفي الواقعة الثانية يروي كيف عامل الشبان احد الجنود الذي اسروه فقال:"في اثناء عملية الفر بعد ان كسر الجنود واقتحموا المستشفى في الهجوم الثاني اوقد الشباب والفتيات النار في اطار السيارات.. واحتجزوا جنديا اسيرا لفترة ، فبماذا عاقبوه؟ جردوه من ملابسه العسكرية ومزقوها وداسوا عليه وجردوه من سلاحه ، ثم اطلقوا سراحه وهو بدون متاع وبدون ستره وبسرواله ممزق".

عربيا:

اثارت الانتفاضة العارمة ردود فعل واسعة في العالم العربي والاسلامي ، ففي اكثر من بلد جرت عدة مهرجانات تضامنية مع اهالي الانتفاضة في سوريا، الاردن ، ففي لبنان من صيدا حتى طرابلس ومن بيروت حتى البقاع جرت عدة مهرجانات ومسيرات تعبر عن التضامن الواسع مع شعبنا ، واخيرا وامام زخم الانتفاضة اعلنت حركة امل عن فك الحصار عن المخيمات في لبنان الا ان مصر شهدت اكبر تحرك عربي للتضامن مع الانتفاضة ومع الشعب الفلسطيني ، حيث شهدت عدة مظاهرات عارمة قام بها طلبة جامعة عين شمس ونقابة المحامين المصريين ونقابة المهندسين وغيرها ، حيث احرقوا العلم الاسرائيلي وطالبوا بطرد السفير الاسرائيلي من القاهرة ، وكذلك بتخلي مصر عن اتفاقات كامب ديفيد، الا ان قوات الامن المصرية

Digitized by Birzeit University Library

قامت بقمع هذه المظاهرات وشنت حملة اعتقالات واسعة بين الطلبة.

ومهما حاول النظام المصري تجميل موقفه ، فان مواقفه الهادفة الى تعريب كامب ديفيد تفضح حقيقته ، وقد تجلت هذه المواقف ، خلال جولته الخليجية مؤخرا ، ومن هنا ، فاننا نستهجن موقف بعض المسؤولين الفلسطينيين في منظمة التحرير من النظام والمحاولات الجارية لتوثيق العلاقات معه ، على الرغم من تمسكه بكامب ديفيد ، وسعيه الى جر باقي الدول العربية اليه ، ضاربا عرض الحائط بكافة القرارات الدولية وعلى رأسها قرارات مجلس الامن الدولي الاخيرة التي تؤكد على حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير المصير ، وتدعو الى الانسحاب الكامل من الضفة الغربية وقطاع غزة.

اما في الاردن فقامت قوات الامن الاردنية بقمع ومهاجمة مظاهرة جماهيرية انطلقت في مخيم الوحدات ، واعتقلت العديد من الفلسطينيين والوطنيين الاردنيين خشية القيام باي نوع من التضامن مع اهالي الضفة والقطاع. ويبقى البرنامج الاسبوعي الذي يقدمه التلفزيون الاردني كل يوم جمعة - مع اهلنا في الاراضي المحتلة - عبارة عن ذر الرماد في العيون.

لقد عبر الملك حسين عن قلقه الشديد من حدة وقوة الانتفاضة ، ليس من باب التضامن مع الاهل في الارض المحتلة كما تزعم وسائل اعلامه ، وانما لان هذه الانتفاضة قضت على كل محاولاته الرامية الى خلق قيادة بديلة ل م.ت.ف في الداخل لتسير معه في ما اجراء مفاوضات "سلمية" مع اسرائيل. وقد كتبت صحيفة "حدشوت" خبرا - ونشرته صحيفة "الشعب" المقدسية في عددها ٤٩٣٢ الصادرة بتاريخ ٨٨/١/١٤ - مفاده بان ملك الاردن بعث في الاسبوع الماضي برسالة الى "شمعون بيرس" بواسطة وزير الخارجية في حكومة الظل البريطانية "جيرالد كوفمان" وطلب حسين من "كوفمان" ان يبلغ "بيرس" بأنه قلق جدا من الوضع وان الجواب الوحيد لامتصاص "التوتر" هو تقوية "المسيرة السلمية".

وتأكيدا لموقف الانظمة العربية من انتفاضة الشعب العربي الفلسطيني. فان هذه القضية ، لم تجد مكانا على جدول اعمالهم - الكثيرة - الى حدانتظارهم اكثر من ستة اسابيع من اجل الدعوة لاجتماع طارىء لوزراء الخارجية العرب ، في الوقت الذي اجتمع مجلس الامن مرات عديدة ، وكذلك البرلمان الاوروبي ، والعديد من المؤسسات الدولية لبحث ما يجري في المناطق المحتلة.

اننا لا نريد ان نعلق اكثر على ذلك وعلى كل من يتوهم ان بمقدور الانظمة العربية الرجعية عمل شيء ما ، نكتفي بما قالته صحيفة "الوطن" الكويتية حين "اثنت على الانتفاضة الشعبية في الضفة الغربية وقطاع غزة مشيرة الى ان هذا الكنز الفلسطيني العظيم وهذه الشجاعة النادرة لشعب ذاق كل اصناف الاضطهاد ، يتطلب منا ان نتعلم من هذه الارادة البطولية وان نثق بقدرة هذا الشعب على العطاء وان نتخلى عن الجري وراء السراب".

اسرائيليا:

في كل مرة تندلع فيها المظاهرات والانتفاضات داخل الارض المحتلة ، تقوم اسرائيل بالبحث عن اسبابها ، وتقلب صفحات رزنامتها السياسية، لتجد ان كان هنالك مناسبة وطنية معينة تدعو لذلك ام لا؟ حتى دفعت الامور بغيئولا كوهين ان تطالب الحكومة الاسرائيلية بشطب ١١/٢٩ من التاريخ السياسي. لقد صرح مسؤول عسكري كبير لصحيفة "عل همشمار" في ٨٧/١٢/١١ ونشرته صحيفة الاتحاد في ٨٧/١٢/١٣ قائلا :"ليس من الضروري [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

معين لنفتش عن سبب لهذه "الموجه" او تلك من "الاخلال بالنظام" في المناطق. علينا ان نفهم اننا في خضم مشكلة اخذة بالتفاقم واننا نجلس على برميل من المواد المتفجرة مع فتيل مشتعل ، خاصة في قطاع غزة. لا يوجد هنا ما يجب شرحه اكثر من اللازم". ان تصريحات المسؤولون الاسرائيليون المتناقضة ازاء ما يجري في الاراضي المحتلة ، قد ظهر اكثر من اي وقت مضى ، نتيجة عمق وقوة هذه الانتفاضة

فشلمير مثلا يرجع اسباب هذه الانتفاضة الى انها جاءت نتيجة تحريض م.ت.ف لسكان المناطق ورابين يقول بانها عمل داخلي ولا علاقة ل م.ت.ف بها ،ثم يعود ويقول ان م.ت.ف تقف وراء ذلك . العديد من الوزراء الاسرائيليين دعوا الى تشديد "القبضة الحديدية" ، وتصعيد اعمال القمع ضد اهالي المناطق المحتلة ، فشارون طالب بان تجري الحكومة بحثا خاصا في موضوع "الارهاب" . واخرون مثل "يوسف شابيرا دعا الى تشديد العقوبات المفروضة على "المشاغبين" وطرد كل من يرمي حجرا او زجاجة حارقة لان الطرد يمنع وقوع ضحايا - على حد تعبيره ! وكلهم يحاولون ايجاد المبررات لممارساتهم القمعية. فبيرس يقول انه يود وصف اطلاق النار بانه "حادث وليس سياسة". ويرد رابين على ذلك والذي كان يتحدث في برنامج "لقاء مع الصحافة" الاخباري الذي تذيعه محطة ان.بي.سي الامريكية ان القوات الاسرائيلية استخدمت رصاصا من المطاط وخراطيم مكافحة الحرائق وغازات مسيلة للدموع في باديء الامر "ولكن كلما تعرض جنودنا للخطر ، واصبحت حياتهم في خطر، يؤذن لهم باطلاق النار مستخدمين في ذلك ذخيرة حية".

لقد احدثت هذه الانتفاضة ردود فعل واسعة كما قلنا ، واخذ العديد من المسؤولين الاسرائيليين يتحدثون عن ضرورة ايجاد حل كل من منطلقه، فشامير يدعو الى حل عن طريق اعطاء الحكم الذاتي لسكان المناطق المحتلة حسب ما نصت عليه اتفاقات كامب ديفيد ، وبيرس وزير الخارجية يقول"انه لو قبل الفلسطينيون بقرار الامم المتحدة من العام ١٩٤٧ لكانت لهم دولة بدلا من الحروب ولكانت لليهود دولة دون حروب". ان بيرس بطرحه هذا يريد ان يضع المسؤولية على عاتق الضحية ، ويعفي حكومات اسرائيل المتعاقبة والرجعية العربية من مسؤوليتها تجاه ما حل بالشعب الفلسطيني ، حيث وقفت حكومة اسرائيل عمليا ضد قرار التقسيم في حينه وعملت على ضم اجزاء من الارض الفلسطينيةاكبر من الذي نص عليه قرار التقسيم.

وبيرس الذي يقول هذا الكلام ، هو ايضا يتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني معتمدا في ذلك على الملك حسين وسياسته الرامية الى ابعاد م.ت.ف وتجاهلها كلية. والنص الكامل ل "وثيقة لندن" الموقعة بين الملك حسين وشمعون بيرس والتي نشرتها الصحف المحلية تثبت ما نقول. بيرس ايضا يجيب على سؤال لاحد اعضاء الكنيست من الليكود بقوله: "في المرحلة الاولى من المفاوضات سنقترح على الفلسطينيين حكما ذاتيا كاملا وحقيقيا ثم يضيف :"الحل السياسي هو عدم سيطرتنا على الفلسطينيين ، لا دولة فلسطينية ، لا جيش فلسطيني ، بل حل للمشكلة الفلسطينية في اطار اردني - فلسطيني".

رابين من جهته يعلن في مقابلة مع مراسل صحيفة "هآرتس" ونشرته صحيفة "القدس" بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٣٠ عن رأيه في الحل السياسي فيقول :"ومن الناحية العامة هناك ثلاث امكانيات لمعالجة شئون "المناطق"، ضم "المناطق" وهذا ما اعارضه - الانسحاب من طرف واحد وانا ايضا اعارض ذلك باعتباره مضمونا بفشل احتمالات التوصل لتسوية "سلمية". اما الامكانية الثالثة والتي اؤيدها فتكمن باستمرار السيطرة على المناطق وذلك لحين التوصل الى تسوية

Digitized by Birzeit University Library

سياسية. وبالنسبة للحل السياسي فانني اؤيد اجراء مفاوضات مع الاردن من خلال حل اقليمي ، لكن ولا بأي حال من الاحوال حل اقليمي يشبه ما كانت عليه الحدود في العام ١٩٦٧ لن تقام دولة ثالثة. وستبقى القدس تحت سيطرتنا والحدود الاردنية تبقى حدودنا الامنية".

هذا هو الحل السياسي الذي يراه حكام اسرائيل ، دون ان يروا اي تطور حصل في العلاقات الدولية . لقد كان ريغان من اشد المتحمسين في العداء للاتحاد السوفييتي ، ولا نبالغ ان قلنا بان سوء هذه العلاقات لم يكن له مثيلا منذ الحرب العالمية الثانية. فما الذي اجبر ريغان في النهاية على ان يقوم بالتوقيع على معاهدة الغاء الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى. انه التفكير الجديد الذي اصبح يسيطر على عقول الملايين من البشر ، ليس فقط في الدول الاشتراكية بل وفي الدول الرأسمالية ايضا ، وطرح العديد من المبادرات السلمية السوفييتية قد احرج ريغن ووضعه في الزاوية واصبحت شعوب العالم كله وخاصة شعوب اوروبا الغربية والشعب الامريكي نفسه تدرك من الذي يعرقل عملية الانفراج الدولي ومن الذي يسعى الى سباق التسلح ويهدد البشرية بأسرها.

ان السلام في منطقتنا يتمثل في حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني باقامة دولته الوطنية المستقلة ،وذلك من خلال مؤتمر دولي كامل الصلاحيات تحضره كل الاطراف المعنية بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية وباشراف الامم المتحدة .

هذا هو جوهر التفكير الجديد في منطقتنا . واي محاولة تهدف الى غير ذلك فلن يكون هناك سلام حقيقي عادل وشامل في المنطقة ، وستظل هذه المنطقة احدى اكثر بؤر التوتر الساخنة في العالم التي تهدد السلام العالمي ، اذا لم تنصاع اسرائيل لارادة المجتمع الدولي.

دوليا:

"الان كما هو متوقع ، بدأت ردود الفعل في العالم ، المظاهرات في المناطق تلاحق رئيس الدولة في بريطانيا ، وتلاحق وزير "الامن" في الولايات المتحدة ، وتلاحق وزير الخارجية في البرازيل واوروغواي. لا يوجد مكان يمكن الهروب اليه.. وللذي ما زال يتشكك، فان هيئة اسرائيل في نظر الرأي العام العالمي اصبحت صعبة جدا ، فنحن ، الاسرائيليين ، محتلون ، وهم ، اولاد غزة ونابلس ، المحاربون من اجل الحرية". هذا ما كتبته "حدشوت" في ١٩٨٧/١٢/١٧ تحت عنوان "لا مكان للهرب" ونشرته صحيفة الاتحاد في ١٩٨٧/١٢/١٨ في تعليقها على اصداء الانتفاضة على المستوى الدولي.

ان حملة التضامن الواسعة التي شهدتها العديد من دول العالم مع المواطنين في المناطق المحتلة ، قد ادت الى عزلة اسرائيل ، وما سياسة اسرائيل وممارساتها القمعية تجاه المواطنين هنا الا الدليل القاطع على هذه العزلة. لقد وصل الامر بحكام اسرائيل الى حد اتهام المجتمع الدولي بالارهاب وذلك حين قال رابين في بيان حكومته امام الكنيست في ١٩٨٧/١٢/٢٢ :"ان هدف هذه القوات - قوات الجيش الاسرائيلي (م.س) هو الايضاح بصورة لا تقبل التأويل لسكان المناطق وللدول العربية وللمجتمع الدولي انه لا يمكن تحقيق شيء عن طريق تهديدات الحرب والارهاب والاضطرابات العنيفة".

ان تعارض التصريحات التي ادلى بها حكام اسرائيل انعكس ايضا على وسائل اعلامه. فصحيفة "حدشوت" التي اقتبسنا ما ذكرناه عاليا ، تعود في ٨٨/١/٧ وتقول معقبة على قرار مجلس الامن الخاص بعدم تنفيذ قرار الابعاد والذي ايدته الولايات المتحدة -وسنرى

Digitized by Birzeit University Library

لاحقا لماذا ايدت الولايات المتحدة هذا القرار - حيث كتبت:"امس اظهرت لنا الولايات المتحدة بانها تركض هي ايضا على المسار نفسه. ومن خلال اظهارها ذلك اشارت لنا ان طريق العودة ما زالت قائمة ، اذا ما غيرنا من سلوكنا. لكننا لا نغير من سلوكنا ، لاننا لا نهتم برأي العالم فينا ، فنحن اكثر من العالم".

هكذا تمعن صحيفة "حدشوت" في تصويرها ما يجري بعيدا عن اي منطق ، ضاربة عرض الحائط بالعالم وموقفه الرافض للممارسات الاسرائيلية في المناطق المحتلة.

ان المثل الساطع لردود الفعل على المستوى العالمي للانتفاضة هو قرار مجلس الامن رقم ٦٠٥ والذي اعتبر الاراضي المحتلة اراض فلسطينية بما فيها القدس. والذي طلب من الامين العام للامم المتحدة ان يدرس الحالة الراهنة في الاراضي المحتلة - نشرنا هذا القرار في العدد السابق (٩٣) من مجلتنا.

وفي قرار لاحق اتخذه مجلس الامن الدولي وحمل رقم ٦٠٧ تضمن دعوة اسرائيل الى التخلي عن تدابير ابعاد تسعة مواطنين من الضفة الغربية وقطاع غزة والذي سننشره في نهاية هذا المقال . اتخذ هذا القرار بالاجماع وصوتت الولايات المتحدة الى جانب هذا القرار. فلماذا اتخذت امريكا هذا الموقف ؟ ان الجواب على هذا التساؤل يجيب عليه مراسل صحيفة "يديعوت احرونوت" في واشنطن ونشرته صحيفة الاتحاد في عددها ٤٤/٢٠١ بتاريخ ٨٨/١/١٠ ، حيث كتب يقول "ان الولايات المتحدة تستثمر جهودا كبيرة في سبيل تعزيز تأثيرها في الدول العربية المعتدلة. وليس لديها اي قصد لتعريض هذه الجهود للخطر عن طريق تأييد سياسة اسرائيلية ترى فيها هي ايضا بانها غير قانونية (تتناقض مع ميثاق جنيف) وغبية ايضا. والاقتراح تقدم به الاردن وحكومة الولايات المتحدة ارادت ان يقوى الاردن مكانته وتأثيره في المناطق (وعلى فكره ، يدعى موظفون في حكومة الولايات المتحدة بان هذا في مصلحة اسرائيل على المدى الطويل) . ومع ذلك ، يمكن الادراك بان الامريكيين لا يقصدون توسيع النطاق في ضغطهم على اسرائيل حول موضوع الطرد الى ابعد مما فعلوه حتى الان. فلا يتوقع "اعادة تقدير" للعلاقات مع اسرائيل ، اذا قررت هذه ، مع ذلك ، تنفيذ عملية الطرد".

ان هذا الكلام ينعكس في موقف الولايات المتحدة في مجلس الامن حيث امتنعت عن التصويت على قرار مجلس الامن الذي يدعو الى عودة المبعدين الاربعة. وغارضت لاحقا باستخدامها حق النقض - الفيتو - على قرار يدعو لادانة اسرائيل بسبب هجماتها المتكررة على لبنان. ان موقف الادارة الامريكية يعرفه الشعب الفلسطيني جيدا ولن تنطلي عليه كل المحاولات التي تحاول تجميل هذا الموقف ، وتدعي ان تغيرا ايجابيا قد طرأ على موقف الولايات المتحدة تجاه الشعب الفلسطيني وممثله الشرعي والوحيد م.ت.ف .ان موقف الولايات المتحدة تجاه ازمة الشرق الاوسط يتماشى تماما مع السياسة الاسرائيلية وهي بدافع مصالحها الدولية لا تريد ان يكون هناك تسوية سياسية عبر مؤتمر دولي يشارك فيه الاتحاد السوفييتي وم.ت.ف.

لقد صدق المعلق السياسي لصحيفة هآرتس الذي كتب في ٨٧/١٢/٤ مقالة تحت عنوان "احترم العم سام وشك به" فكتب يقول:"ان اية تصريحات امريكية رسمية تعلن التأييد للتسوية السياسية او للمؤتمر الدولي (حتى وفق الصيغة البيرسية التي تفرغه من مضمون المطلوب) لا تعدو اكثر من كونها "ضريبة كلامية".

نعم انها ضريبة كلامية لا اكثر ، وهذا ما يدركه الحكام العرب باعتبارهم متواطئين وغارقين حتى اذنهم في التسليم بالسياسة

Digitized by Birzeit University Library

الامريكية ، معتبرينها امرا واقعا. الا ان هذا لن ينطلي على الشعوب العربية والتي لا ترى اي جديد بالنسبة لموقف الولايات المتحدة تجاه الشعب الفلسطيني وباقي الشعوب العربية.

زيارة ماراك غولدينغ:

بناء على قرار مجلس الامن الدولي رقم ٦٠٥ كلف الامين العام لهيئة الامم المتحدة ارسال ممثل له الى المناطق المحتلة لتقصي الحقائق هناك ، وبالفعل وصل ماراك غولدينغ يوم السبت في ٨٨/١/٩ وبقي حتى ٨٨/١/١٨ زار خلالها بعض المخيمات والمدن الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، والتقى ايضا مع بعض المسؤولين الاسرائيليين. الا ان شامير رئيس حكومة اسرائيل رفض استقباله طيلة الفترة ، حيث يعترض شامير على قرار مجلس الامن .

وخلال زيارته هذه التقى مبعوث الامم المتحدة مع العديد من سكان المخيمات ، واطلع بنفسه على الاوضاع التي يعيش في ظلها سكان المخيمات . وقد حاولت سلطات الاحتلال منعه من زيارة بعض المخيمات في قطاع غزة بحجج مختلفة ، مثل انها مناطق عسكرية واخرى يطبق عليها حظر التجول. الا ان المبعوث الدولي فاجأ السلطات الاسرائيلية فذهب الى غزة مرة اخرى في حين انه كان من المقرر ان يقوم بزيارة الضفة الغربية ، والتقى هناك مع سكان مخيم رفح وقام رجل يلبس الكوفية بتقبيله .

وانتهز الصحفيون هذه الفرصة وقاموا بتصوير وقائع الزيارة ومظاهرة سكان المخيم ، الا انه بغد مغادرة غولدينغ ، قامت قوات الجيش الاسرائيلي بجمع المصورين من المخيم وصادرت منهم الافلام وهددتهم بتحطيم كاميراتهم.

وخلال زيارته لمخيم بلاطة في نابلس والذي كان مفروضا عليه حظر التجول ، قمعت سلطات الاحتلال مظاهرة جرت في المخيم بقنابل الغاز المسيل للدموع والعيارات المطاطية ، مما ادى الى اصابة حارس برصاصة مطاطية ، كما اخذ غولدنغ نفسه نصيبه من الغاز المسيل للدموع.

وقد اكد جميع المواطنون الذين التقاهم غولدينغ على وجوب حل القضية الفلسطينية حلا شاملا على اساس انها قضية سياسية وليست قضية لاجئين . واشار غولدنغ في معرض رده على المواطنين ، الى اقتناعه بان المشكلة الفلسطينية هي مشكلة سياسية وليست مشكلة لاجئين ، كما يتوهم البعض ووعد بنقل اراء الفلسطينيين الى المسؤولين في الامم المتحدة ومجلس الامن الدولي.

هذا وكان ممثلو الهيئات والمؤسسات الوطنية والنقابية والشعبية في الضفة الغربية قد سلموا غولدينغ مذكرة تتضمن مطالبهم المتضمنة وقف الممارسات الاسرائيلية الجارية ورفع الحصار المضروب على مناطق مختلفة من الضفة والقطاع ، وتأمين الخدمات الحياتية الاساسية لجميع المناطق والغاء سياسة الاعتقال الاداري واوامر الابعاد ، واطلاق سراح المعتقلين في الاحداث الاخيرة ، وفتح المؤسسات والجامعات والمعاهد المغلقة بأمر من السلطات الاسرائيلية وتأمين تدخل واشراف ومراقبة الامم المتحدة لتنفيذ هذه المطالب. ودعت المذكرة الى تطبيق قراري مجلس الامن ٦٠٥ ، ٦٠٧ الاخيرين حول الضفة الغربية وقطاع غزة.

هذا وقدم مبعوث الامم المتحدة تقريرا حول هذه الزيارة للامين العام للامم المتحدة ، والذي قام بدوره بعرضه على مجلس الامن الدولي ، ومن المتوقع ان تصدر قرارات جديدة لمجلس الامن على ضوء هذا التقرير.

Digitized by Birzeit University Library

نص قرار مجلس الامن ضد قرارات الابعاد الاسرائيلية

نيويورك : يشير مجلس الامن الدولي الى قراره رقم ٦٠٥ الذي اتخذ قبل اسبوعين ويعرب عن قلقه العميق بالنسبة للاوضاع السائدة في المناطق الفلسطينية المحتلة. ولا سيما بعد قرار اسرائيل الاستمرار بسياسة طرد المواطنين الفلسطينيين من المناطق المحتلة . كما يشير مجلس الامن الى المادة الرابعة من ميثاق جنيف ، وبالتحديد الى البنود ٤٧ - ٤٩ (التي تتعلق بالمحافظة على السكان المدنيين وتمنع عمليات الطرد الجماعي من اية اراضي محتلة).

وعليه يقرر مجلس الامن ما يلي:

اولا - مجلس الامن يؤكد مجددا ان المادة الرابعة من ميثاق جنيف تسري على المناطق الفلسطينية والعربية التي احتلتها اسرائيل في عام ١٩٦٧ بما في ذلك القدس.

ثانيا - يدعو مجلس الامن اسرائيل الى الامتناع عن طرد اي مواطن فلسطيني من المناطق المحتلة.

ثالثا - يطلب مجلس الامن من اسرائيل احترام التزاماتها بموجب ميثاق جنيف.

رابعا - يقرر مجلس الامن الاستمرار في دراسة الاوضاع في المناطق الفلسطينية والعربية المحتلة من جانب اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ بما في ذلك القدس.

قائمة باسماء شهداء الشهر الثاني للانتفاضة

الخميس ١٩٨٧/١٢/٣٠

- مصطفى عيسى البيك (٢٠ عاما) جباليا اصيب يوم ٨٧/١٢/٢١.

الجمعة ١٩٨٨/١/١

- ناجي حسن محمد حسين (٤٢ عاما) قباطية، كان الراديو الاسرائيلي قد اعلن في ١/١ حاول التسلل الى الاردن ، ولم يذع اسمه في حينه. ويذكر ان جثمان الشهيد سلم لعائلته في ١/١٣.

الاحد ١٩٨٨/١/٣

- هنية محمود سليمان غزاونة (٢٥ عاما) الرام.

الثلاثاء ١٩٨٨/١/٥

- علي محمد محمود دحلان (١٩ عاما) خانيونس.

الخميس ١٩٨٨/١/٧

- مازن زكي مسلم (١٥ عاما) مخيم المغازي/ غزة.

الجمعة ١٩٨٨/١/٨

- خالد ابراهيم العواودة (٢٢ عاما) مخيم البريج.

السبت ١٩٨٨/١/٩

- بسام خضر مسلم (٢٧ عاما) بني سهيلا / خانيونس.

الاحد ١٩٨٨/١/١٠

- وجدان فارس (٣٥ عاما) خانيونس ، امرأة حامل في شهرها التاسع.
- خليل اسماعيل ابو لولس (م٥٣ عاما) رفح. توفي متأثرا بجراحه منذ ١٩٨٧/١٢/١٤.

Digitized by Birzeit University Library

- طوقان مصبح (٣٥ عاما) الشجاعية / غزة.

الاثنين ١١/١/١٩٨٨

- عطا مصطفى يوسف خضر (٢٥ عاما) خانيونس.
- محمد فياض (٦٥ عاما) خانيونس ، اصيب برصاصة في صدره في ١٩٨٧/١٢/١٦.
- باسل اليازوري (٢٢ عاما) رفح ، اصيب في رأسه في ١٩٨٨/١/٨.
- رابح حسين حامد (١٦ عاما) بيتين/ رام الله. قتل برصاص المستوطنين.

الثلاثاء ١٢/١/١٩٨٨

- محمد يوسف اليازوري - رفح.

الاربعاء ١٣/١/٨٨

- حسن مصطفى جبر (٢٠ عاما) كفر نعمة / رام الله.
- مصطفى حسين حرز الله (٥٢ عاما) عين بيت الماء ، توفي نتيجة اختناقه بالغاز.
- لبنى احمد سليمان شويكي (١٣ عاما) دير عمار/ رام الله، توفيت نتيجةاختناقها بالغاز.
- سامر علي جمعة (٤ شهور) دير عمار/ رام الله، توفي نتيجة اختناقه بالغاز.
- طفل منطقة "الجرن" في جباليا بعد ان اصيب في الصدر ، ولم يتمكن الاطباء والاهالي (الذين عالجوه في عيادة المخيم ولم يفلحوا في انقاذ حياته) من التعرف على هويته ، علما بانه يبلغ العاشرة من العمر ولا يحمل بطاقة هوية . تبين لاحقا ان اسمه رمضان يوسف صبيح.
- ذكرت اذاعة مونت كارلو ان فلاحا عجوزا توفي في ١/١٣ في قطاع غزة متأثرا بالجراح التي كان اصيب بها في ١/٣ من رصاص الاحتلال.

الخميس ١٤/١/١٩٨٨

- محمد رضوان طبازة (١٨ عاما) مخيم النصيرات/ غزة.
- احمد علي عودة الغزال العبيات (٤٥ عاما) كيسان / بيت لحم.

الجمعة ١٥/١/١٩٨٨

- ابراهيم محمود ابو نحل (٣٥ عاما) الشيخ رضوان / غزة.

الاثنين ١٨/١/١٩٨٨

- صبحية درويش حشاش (٥٢ عاما) مخيم بلاطة ، توفيت متأثرة بجراحها قبل اسبوعين.

الجمعة ٢٢/١/١٩٨٨

- فاطمة رشيد سلمان (٥٥ عاما) بيت صفا توفيت نتيجة اختناقها بالغاز وهي ام لاحد عشر ولدا.

السبت ٢٣/١/١٩٨٨

- محمد فرهود(١٣ عاما) خربثا بني حارث/ رام الله. استشهد اثناء محاولته رفع العلم الفلسطيني على احد اعمدة الكهرباء في القرية.

الخميس ٢٨/١/١٩٨٨

- محمد علي حمدان (٢٢ عاما) - رفح.

هذا وقد كشفت مجلة "معولام هزه" الاسرائيلية في ١٩٨٨/١/٧ النقاب عن اجهاض ٥٥ حبلى فلسطينية في مدن الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين.

وهيئة تحرير "الكاتب" ، تتقدم من اسر الشهداء البررة ، بأحر التعازي ، متمنين للجرحى كافة ، الشفاء العاجل .

Digitized by Birzeit University Library

"الامن المائي في الضفة الغربية"

(دراسة مختصة لهيدروجيولوجية الضفة الغربية)

اعداد: المهندس عبد الرحمن التميمي

تمهيد

تعتبر الدراسات الهيدروجيولوجية لاي منطقة في مناطق العالم محصلة جهود جماعية ، وذلك لان مثل هذه الدراسات بحاجة الى معطيات كثيرة. وقد يشترك في مثل هذه الجهود خبراء من فروع علمية مختلفة مثل علماء الجيولوجيا وخبراء البيئة والزراعة ومهندسي ومخططي المدن وغير ذلك.

ودراسة اي منطقة من وجهة هيدروجيولوجية تتطلب وقتا طويلا لكي يمكن المقارنة بين المعطيات المخمنة (النظرية) من جهة وبين معطيات الطبيعة نفسها. فمثلا: يجب مراقبة الينابيع وتلوثها وتغير صفاتها الفيزيوكيمائية مدة لا تقل عن ثلاث سنوات لكي يمكن اعطاء صورة واضحة عن الموضوع.

بالاضافة الى ما تقدم فان اي دراسة هيدروجيولوجية تكون عبارة عن حلقة من عدة دراسات سابقة اعدت من اجل دراسات لاحقة وبتعبير اخر فان الدراسة الهيدروجيولوجية هي استمرارية لدراسات اخرى مثل قيام خبراء الستراتيجرافيا بتقديم شرح كامل للتتابع الطبقي للصخور لكي يتمكن الهيدروجيولوجيون من معرفة الخواص الهيدرولوجية لمثل هذه الطبقات وغير ذلك.

في ضوء ما سبق فان دراسة هيدروجيولوجية للضفة الغربية تعتبر عملية صعبة ومعقدة جدا لاسباب اهمها :

أ - نقص المعلومات والمعطيات الاساسية لمثل هذه الدراسة وفي حين توفرها فهي معطيات غير موثقة ومتضادة في كثير من الاحيان ، لتعدد المصادر.

ب - عدم وجود خارطة طبوغرافية بمقياس (١/٢٥٠٠٠) ليشغل عليها بوضوح الخارطة الجيولوجية.

Digitized by Birzeit University Library

ج - معظم الذين تصدوا لهذا الموضوع من الشعب العربي في الداخل اما من خبراء الزراعة او من رجال السياسة وبالتالي كان اقترابهم من المشكلة اقترابها مختلفا ومسيس في كثير من الاحيان.

اما بالنسبة لطريقة الباحث فهي طريقة الزيارات الميدانية لكثير من المعالم الجيولوجية والينابيع بالاضافة لاعتماد الباحث المعلومات الاولية (Primary Resources) في حساباته. وقد تمكن البحث من الحصول بهذه الطريقة على ارقام كثيرة ومختلفة عن ما يتبادله الباحثون حول الوضع المائي في الضفة الغربية.

اسلوب البحث:

الواقع ان تطبيق المنهج العلمي في هذا البحث في صلب اهتمام وعناية الباحث ولكن نقص المعلومات الاولية الضرورية لمثل هذه الدراسة جعلت تطبيق هذا المنهج امر صعب للغاية حيث ان شحة المصادر الاولية والدقيقة والجهد الفردي جعل الباحث يتبع تجميع عدة حقائق من مصادر عديدة لمعلومة معينة وباختصار فان الباحث حاول قدر الامكان عدم الابتعاد عن الخط العام للاسلوب العلمي الدقيق ولذلك ركز على ما يلي:

اولا: تم نسب المعلومات قدر الامكان الى مصادرها التي ذكرها الباحث في اخر البحث وقد تم تركيب العديد من الجداول من اكثر من مصدر واحد.

ثانيا : بالنسبة للوحدات الجيولوجية ونوعيتها اعتمد الباحث الزيارات الميدانية والملاحظة الشخصية وتثبيتها بينما اعتمد الاعمار الجيولوجية من مصادر وابحاث سابقة. لان تثبيت هذه الحقائق يتطلب مختبرا وجهدا كبيرا وامكانيات تكنولوجية لا يمكن توفيرها في الضفة الغربية.

ثالثا: لقد قام الباحث بالمقابلات الشخصية للتأكد من كثير من المعلومات حيث قابل عاملين وفنيين في دائرة المياه وسلطة المياه ولجنة الاغاثة الزراعية واساتذة في الجامعات الفلسطينية.

اهداف البحث:

ان المطلع على الدراسات العربية التي حاولت دراسة الوضع المائي في الضفة الغربية كانت تقترب للمنطقة من زوايا المخزون مباشرة باعتباره الهدف الاساسي في ظل الظروف الذاتية والموضوعية لهذه المنطقة.

وقد كانت هذه الدراسات تنتقل الى قسم الهيدرولوجي مباشرة دون الاعتماد على الاساس الفعلي لهذه الدراسات ولذلك حاول الباحث في هذا العمل المتواضع محاولة التعرف على الصفات الهيدروجيولوجية للطبقات الصخرية في الضفة الغربية كقدمة ، كان لا بد منها ، لدراسة الوضع المائي لهذه المنطقة ، وحرصا على الدقة ومعرفة انه لا يمكن اعطاء نظره صحيحة على الوضع المائي دون معرفة الصفات العامة للصخور ، وكذلك دون تحديد الصفات الهيدروجيولوجية لمكامن واحواض المياه في الضفة الغربية ، وربط هذه الصفات بالجيولوجيا التركيبية (Tectonics) على ضوء هذه الغاية اقدم الباحث هذه الدراسة عن [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

الضفة الغربية مستخلصا الوضع الهيدروجيولوجي للصخور بناء على الصفات الليتولوجية (الكيمائية ، الفيزيائية ، البيولوجية) العام لها.

"استراتيجرافية الضفة الغربية"

STRATIGRAPHY OF WEST BANK

نظرا لصعوبة الحصول على خارطة جيولوجية بمقياس رسم يمكن من خلاله بيان الوضع الجيولوجي والتتابع الستراتيجرافي للطبقات الصخرية في الضفة الغربية تم اعتماد الخارطة الجيولوجية التي وضعت من قبل "فريق العمل الالماني / بمقياس ١/٢٥٠٠٠٠،عام ١٩٦٥. بالاضافة الى الزيارات الميدانية التي قام بها الباحث نفسه ، وقد كانت محصلة الجهود وضع تصور عام للوضع الجيولوجي على النحو الاتي (الشكل ١).

١. الماسوزويك MESOZOIC

١.١ الجوري

١.١و١. البازلت.

صخور قاعدية تحتل مساحة صغيرة في شمال الضفة الغربية (الجنوب الشرقي من جنين) وحدها الجيولوجي الاعلى الصخور الرسوبية ذات العمر الكرتياسي.Cretaceous

١و٢. الكرتياسيCretaceous

١،٢،١ Lower Cretaceous

يتكون هذا الدور من الحجر الرملي والدولوميت ، والحجر الجيري الرملي وفي بعض الاماكن يظهر المارل والحجر الابيض والملون (الرملي)

Limestones,Sandy Dolomite, Locally, Limestones & Marls.

١،٢،١ وسط الكريتاسي.

تتوزع هذه على جانبي Grabens حيث يظهر في شرق المنخفض الحجر الجيري الطباشيري ، المارل. الحجر السليسي Chert كذلك في الجنوب الشرقي يظهر من المنخفض الحجر الجيري بطبقاته السميكة.

اما في غرب المنخفض حجر جيري طبقاته سميكة بالاضافة الى الدولوميت والحجر المارلي الطباشيري والحجر السليسي.

٣،٢،١، اعلى الكرتياسي Upper Cretqceous

يلاحظ هذا النوع من الصخور في الجنوب والجنوب الشرقي في الضفة الغربية وفي منطقة اريحا وتتكون هذه الطبقات من الحجر الجيري والمارل والحجر الجيري السليسي والحجر الجيري الكريستالي ، كذلك تظهر طبقات الفسفوريت Phosphorites والحجر الجيري العضوي Bituminous

٢ - السنوسوزيك CENOZOIK

تتابع الطبقات السفلي في هذه الحقبة بشكل توافقي حيث يظهر الحجر السليسي والجيري كذلك الكونجلومورا "Conglomerates" و "Gravels"

Digitized by Birzeit University Library

واحيانا يشاهد الجبس "Gypsum" والحجر الكبريتي "Sulfur" وهذه تظهر في منطقة محاذية لنهر الاردن.

٣ - وفي دور الثالث Quaternary يظهر الحجر الجيري المتجدد "Traventeris" والاولين "Olian"

"الجيولوجية التركيبية في الضفة الغربية"

TECTONIC OF WEST BANK

في ظل الوضع التركيبي والجيولوجي العام في المنطقة نلقي نظرة سريعة على تركيبة الضفة الغربية اعتمد الباحث على زياراته الميدانية والحديث مع البعض من خبراء المياه واستخلص الباحث ما يلي :-

١. ان معظم التصدعات والانكسارات العادية في الضفة الغربية Normal Faults تتجه بالاتجاه الشمالي الغربيNW او الغربيW

٢. ان الانهدامات الكبيرة تنقسم بين الاتجاه الجنوبي الشرقي (جنوب بيت لحم) NE وبين موازاة الحفرة الانهدامية العام لنهر الاردن (انظر خارطة جنوب الاردن والضفة).

٣. اما ميل الطبقات فهو في شمال الضفة الغربية باتجاه الشمال او الاتجاه الغربي وهناك طبقات محلية وصغيرة في معظم انحاء الضفة الغربية.

٤. ان الصفات الفيزيوكيمائية لصخور الحجر الجيري تجعله يكون تركيبات وتجويفات صخريةKarct بحيث تكون هذه التجويفات عبارة عن مسارب وشقوق للمياه الجوفية ذات ارتباط وثيق بها . ويصل قطر هذه الفجوات الكلسية احيانا الى بضع مترات.

الخواص الهيدروجيولوجية لصخور الضفة الغربية:

الواقع ان تحديد الخواص الهيدروجيولوجية والهيدروليكية لصخور الضفة الغربية امر يتطلب جهدا كبيرا من زيارات ميدانية واختبارات مختبرية كثيرة ليتمكن الباحث من اعطاء وصف دقيق لتلك الخواص ونظرا لعدم التمكن من القيام باجراء تجارب مخبرية ، فقد اعتمد الباحث على الملاحظات الميدانية وحاول الاستفادة من الخواص الفيزيائية والكيمائية في تفسير وتحديد الخواص الهامة لهذه الصخور وهي كالاتي :

١. يلاحظ ان هناك مساحة من الضفة الغربية (خاصة منطقة القدس ورام الله) يظهر بها التجويفات الكلسية Karet وهذا ما يفسر ظهور كثير من الينابيع يمكن تفسير نشوئها لهذه الظاهرة (عين سامية وعين دير ابزيع).

٢. من الملاحظ ان منطقة الضفة الغربية تتكون في معظمها من الحجر الجيري وهذا يعطي مياه الضفة الغربية خاصة سلبية ، وهذا ما يفسر ارتفاع الكالسيوم في كثير من ينابيع الضفة الغربية.

٣. يلاحظ في اواسط الضفة الغربية (منطقة تل العاصور) ان الطبقات الصخرية [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

الالتواءات من جهة والقلة النسبية للانكسارات والشقوق ٥ والانهدامات الصخرية وهذا مما يقلل نفاذية هذه الصخور والتشتت في اتجاه المياه الجوفية Faults & Fracture على وجه التحديد (شمال الضفة الغربية).

٤. ان التناوب الصخري الموجود في الضفة الغربية (رمل - كلس - رمل) يقلل من نفاذية هذه الطبقات من جهة ويحدد المسامية من جهة اخرى.

احواض الضفة الغربية:

تتوزع الاحواض في الضفة الغربية وفقا للخواص الهيدروجيولوجية لصخور الضفة ، ووفقا لاتجاه تسرب المياه في هذه الاحواض يمكن تقسيمها كالاتي :

١ - احواض تتجه شمالا وهي احواض:

أ) نابلس.

ب) جنين - جلبون.

٢ - احواض تتجه غربا :

أ) حوض العوجا - التمساح.

ب) حوض الخليل - بئر السبع.

٣ - احواض تتجه شرقا وجنوبا :

أ) حوض المالح - البقيعة.

ب) حوض الفارعة - بردلة.

ج) حوض رام الله - القدس.

وكما هو مبين في الشكل رقم (٣،٢)ان هذه الاحواض صغيرة الحجم نسبيا وان جزء منها تستفيد منه الضفة الغربية ، حيث انه بفعل الميل الطبوغرافي من جهة والخلل في التوازن الناتج عن الضخ في الساحل من جهة اخرى تتجه مياه هذه الاحواض الى الغرب باتجاه الساحل.

بعد تقسيم احواض الضفة الغربية حسب اتجاه المياه الجوفية ، يمكن تقسيم هذه الاحواض وفقا للادوار الجيولوجية ، وهي تتوزع كالاتي :

١) حوض منطقة الضفة الغربية المعروف بAjlun series حيث ان سمك هذا الحوض يتراوح بين ٤٥٠ - ٩٠٠م. والعمر الجيولوجي هوCenomonian Toronian

٢) حوض القدس Belqa Series

لقد ترسبت صخور هذا الحوض في الحقبة بينSenonian - Paleocen وتتكون الطبقات من المارل والحجر الجيري وسمكها ما بين ١٥٠ - ٢٥٠م.

٣) حوض نابلس - جنين والمعروف ايضا Jenin Subseries يعتقد ان صخور هذا الحوض ترسبت في العصر الاويساني Eocene والمكون الرئيسي لهذا الحوض هي طبقات من الحجر الجيري والطباشيري ويبلغ سمكها ما بين ٢٠٠ - ٥٠٠ متر.

الكتلة النسبية للانكسارات = معدل الانكسارات والشقوق ذات الاتجاه الواحد في المتر المربع.

Digitized by Birzeit University Library

٤) هناك بعض الاحواض المحلية الصغيرة تتكون على بعد مئات الامتار من نهر الاردن وتتكون من طبقات متناوبة من الكونجلومورا والمارل والحجر الرملي Conglomerates & Marl, Sand ويعتقد كثير من الباحثين ومنهم "فريق العمل الجيولوجي الالماني ١٩٦٥ ان هذه الطبقات ترسبت في عهد النيوجان Neogene والبليوستوسان Pleistocene واكبر هذه الاحواض هو حوض في محاذاة جبال الضفة الغربية حيث انه يغذي معظم المناطق المحيطة به شرقا وغربا.

الامطار :

تتلقى الضفة الغربية كمية وافرة من الامطار بالقياس مع الدول المجاورة (شكل ٤) حيث تهطل الامطار بكمية ٤٠٠ - ٦٠٠ ملمتر سنويا وتبين الدراسات ان كمية المياه التي تسقط على الضفة الغربية هي ٢٥٠٠ مليون متر مكعب سنويا وتتناقص هذه الكمية بالاتجاه نحو الاغوار حيث يصل معدل الامطار الى ١٠٠ ملمتر سنويا.

الينابيع:

تشكل الينابيع اهم المصادر التي تزود القرى في الضفة الغربية بالمياه ، حيث يبلغ عدد الينابيع حوالي ٣٠٠ عين . الا ان اغلبها ذات طبيعة موسمية ، وغالبا ما تستخدم للشرب (تقرير لجنة الاغاثة الزراعية) وقد قل معدل التدفق لهذه العيون اما لسبب الاهمال بسبب ان الابار التي حفرت في السنوات الاخيرة جعلت المنسوب المائي يقل في منطقة بعض هذه الينابيع. والجدول الاتي يبين اهم الينابيع في غور الاردن حيث انها تعطي ٩٣٪ من مجموع الينابيع الموجودة في الضفة الغربية (ومنعا للتكرار حيث ذكرت هذه الاسماء في اكثر من مصدر):

اسم النبع(٥)	الطاقة الانتاجية (م	ليتر/ثانية) منها للري
بردلة وعين البيضا	١٦	٣
الجفتلك	٢	٢
فصايل	٢	-
العوجا	١٠	-
النويعمة	٥ر١٢	-
الديوك	١٧	-
السلطان	٣ر٥	-
القلط	٥ر٥	-

(٥) انظر عبد الرحمن ابو عرفة - نهر الاردن.

Digitized by Birzeit University Library

(٥) الينابيع الرئيسية في منطقة الاغوار وبعض صفاتها

اسم النبع	طاقة التصريفة م٣/سمليون م٣ سنويا	الملوحة ملغرام/لتر
القلط	٢٠٠	-
الديوك	٤٠٠	٤ - ٦
النويعمة	٢٠٠	٥ - ١٧
الشوصة	-	٢ - ١٢
السلطان	٧٠٠	٥ر٥
العوجا	١٠٠٠ - ٢٠٠٠	٦ - ٨
فصايل	٤٠ - ٦٠	٧ - ١٢
الفارعة		٢
الباذان	٦٥٠	-
الشبلي		١٦
بردلة وعين البيضا	-	-

(٥) انظر عبد الرحمن ابو عرفة - نهر الاردن.

ومن خلال زيارات الباحث لعدة ينابيع في منطقة رام الله تبين ان هناك كثير من الينابيع يمكن استغلالها في الري للاراضي المجاورة ويمكن رفع القدرة الانتاجية بنسبة ٥٠٪ في السنة . في بعض الينابيع (عبوين - دير نظام - سنجل) . من خلال هذه الحقيقة يقدر معدل الماء المتسرب من ينابيع الاغوار انه يتراوح بين ٧٠ - ٧٥ مليون متر مكعب . اما ملوحة هذه الينابيع فهي بين ٢٠٠ - ٨٠٠ وتكون الملوحة مرتفعة في غور بيسان ومنخفضة في ينابيع نابلس والفارعة.

الابار الارتوازية:

بلغ عدد الابار الارتوازية عام ١٩٦٧ حوالي ٧٠٠ بئرا ولم يزد هذا العدد الا بمقدار بسيط ، وهي الزيادة التي حفرت في بعض المدن والقرى للاستهلاك المنزلي فقط . ويقدر عدد الابار العاملة منها عام ١٩٨٣ حوالي ٣١٤ بئرا ، والبقية غير مستغلة لاسباب عديدة ، منها القوانين التي تمنع ترميم الابار او تعميقها ، او وضع العراقيل في استيراد الالات وغيرها. وتنتشر هذه الابار على السفوح الغربية لجبال الضفة الغربية وفي منطقة وادي الاردن والسفوح المجاورة وحسب احصاء عام ١٩٨٤ / ١٩٨٥ بلغ عدد الابار المستغلة لاغراض الشرب في الضفة الغربية ٢٢ بئرا تضخ ما يقرب ١٥ - ١٨ مليون متر مكعب (لاغراض الشرب فقط) وهناك حاجة لزيادة الكمية المضخوخة للري والشرب وتقدر بحوالي ٤٤ مليون متر مكعب سنويا.

طاقة التصريف = قدرة البئر على الضخ في الساعة الواحدة م٣/س.

طاقة الانتاج = ما ينتجه البئر او ما يتوقع انتاجه في السنة الواحدة مليون م٣/السنة.

الملوحة: معدل كمية الاملاح المذابة في لتر واحد من الماء. ويقاس بوحدة ملغم/متر او جزء من المليون / متر (p.p.m) ومعدل الملوحة مهم عند تقييم الماء ، كمياه ري او مياه شرب

Digitized by Birzeit University Library

الابار الارتوازية الموجودة في وادي الاردن (العربية)

المنطقة	عدد الابار	الابار المقروءة	انتاجية الابار لكفوة الضخ مليون م٣/السا
اريحا	٤٠	٣١	١٣٥٠ ٣ر٤٦٥
فصايل	١١	١٠	٦١٨ ١ر٠٧٨
الجفتلك	٢٩	٢٢	١٣٣٩ ٢ر٦٥٦
مرج النعجة	٨	٨	٦٨٥ ٨٨٠
بردلة	٨	٦	٣٨٥ ١٨٥٥

وهنا يلاحظ ان تناقص معدل انتاجية هذه الابار بسبب ازدياد الضخ في الابار الاسرائيلية الذي يسبب انخفاض المستوى المائي في منطقة هذه الابار خصوصا ان هذه الابار لا تصل الى عمق الابار الاسرائيلية ولا يسمح بتعميقها ايضا.

اهم الابار الاسرائيلية في غور الاردن

اسم البئر	كمية المياه المضخوخة (الف متر مكعب)
جنين(١ر٣)	٩ر٣٨٨
مرج نعجة(١٤ر٢٩)	٨ر٥٥٦
فارعة	١ر١
اربيه ١	٦ر١٦٢
مسواه	٨ر١١٧٩
فصايل (٢ر٣ر٤)	٧ر٣٥١٣
اريحا ١	٨ر١١٢
عوجا ١	٨ر٢٧٧
عوجا (٢ر١)	٣ر٨٥٦
عطارة ١	٥ر١٧٠٥
بقيعة	٥ر٥٣٧
بردلة (١ر٢)	٥ر٥٩٣٤

حيث ان هذه الابار البالغ عددها ١٧ تضخ ٣٧٪ من مجموع ما تضخه الابار العربية حيث ان كمية المياه المتدفقة من جميع الابار العربية البالغ عددها ٣١٤ بئرا يقدر ب ٣٧ مليون متر مكعب*. وهي في تزايد من حيث العدد اولا والنوعية ثانيا (العمق والالات) والجدير بالذكر ان كثير من الابار العربية تم الاستيلاء عليها وتعميقها حيث بلغ العمق الحالي لبئر شبتين ٤٠٠ مترا منها ٢٨٠ متر عمق الحوض نفسه (٢٨٠ عمق الماء).

المياه السطحية :

تحتوي اراضي الضفة الغربية على العديد من الاودية والانهار الصغيرة ولكنها موسمية في معظمها ولذلك لا يمكن الاستفادة منها على مدار السنة والحقيقة ان وادي الاردن هو اهم واكبر

* المصدر : صامد الاقتصادي السنة الخامسة العدد ٤٥ ايلول - تشرين اول ١٩٨٣

Digitized by Birzeit University Library

هذه الاودية التي يستحق التوقف عندها لانه يشكل عصب الحياة في زراعة وادي الاردن والاغوار. والشكل رقم (٥) يبين كيفية استغلال مياه هذا الوادي من منابعه وحتى مصبه في البحر الميت. ولكن البحث في نهر الاردن في الضفة الغربية والاغوار فقط غير ممكن عمليا وذلك لانه يتعرض لاستغلال في جميع روافده وعلى طول مساره.

ويمكن تلخيص الشكل السابق بالاتي:

ما يدخل نهر الاردن ١٥٣٤ مليون م٣.

ما يخرج من نهر الاردن ٩٧٠ مليون م٣.

الباقي من مياه النهر ٥٦٤ مليون م٣.

نسبة استغلال الاسرائيليون لمياه النهر ٤٥٪.

توزيع المياه في منطقة وادي الاردن:

مياه يتعذر استعمالها ١٥٠ مليون م٣.

مياه مالحة ٦٠ مليون م٣.

مياه للعرب ١٠٠ مليون م٣.

مياه للاسرائيليين ١٠ - ١٢ مليون م٣.

(مستوطنات).

التبخر في الضفة الغربية:

هناك عدة ارقام تتحدث عن التبخر في الضفة الغربية وتعدد هذه الارقام يشكك في مصداقيتها وهي ارقام مضللة في كثير من الاحيان ولذلك اتجه الباحث الى المنهج الرياضي في حساب كمية المطر والتبخر مستعينا بطريقة العالم "Thorntwait"** وكما هو مبين في الجدول الاتي فقد تم حساب كمية التبخر لعام ١٩٨٢ وكانت كمية التبخر ٨٣٩ ملمتر وفي الجدول الذي يليه حسبت ايضا لعام ١٩٨٣ ، وبلغ هذا الرقم ٨٨٦ ملمتر سنويا بينما ان كثير من الاحصائيات تشير ان هذا الرقم ١٩٠٠ ملمتر. كذلك فان الشكل رقم (٦) يبين العلاقة بين نسبة التبخر والامطار لعام ١٩٨٢ . وكما هو واضح من الشكل فان اعلى نسبة للتبخر تظهر في بداية شهر ٤ وحتى شهر ٩ ايلول وينعدم المطر في هذه الاشهر ولذلك فان الزراعة بحاجة الى الري في هذه الاشهر.

وقد استعمل الباحث في حساب كمية التبخر لهذه الاعوام الارقام الاولية الصادرة عن ٤ محطات ارصاد جوية لقياس المطر والحرارة وهي محطات (العروب - نابلس - طولكرم - اريحا).

وبناء على ذلك فان كمية التبخر في الضفة الغربية لا تزيد عن ٤٠٪ من الامطار المتساقطة سنويا.

** في هذه الطريقة(طريقة Thosntwait يتم احتساب مقدار النتح التقديري (التبخر عن طريق النباتات) في الكمية الاجمالية للتبخر انظر طريقة Thosntwait عند جدول التبخر في اخر هذه الدراسة

Digitized by Birzeit University Library

استعمال المياه في الضفة الغربية:

قبل الخوض في كمية المياه المستغلة في الضفة الغربية من المستحسن اعطاء جدول يبين توزيع استعمال المياه في اسرائيل.

السنة	مياه مالحة مليون مترمكعب	مياه حلوة مليون متر مكعب	الاستهلاك مليون متر مكعب
٦٥/٦٤	١.١	١٣٢٩	١.٧٥
٧٠/٦٩	١١٠	١٥٦٤	١٢٤٩
٧٦/٧٥	١٤١	١٧٢٨	١٣٢٨
٨٠/٧٩	١٢٣	١٧٠٠	١٢٣٥
٨١/٨٠	١٢٣	١٦٧٩	١٢١٢
٨٢/٨١	١٢٣	١٧٧.	١٢٨٢
٨٣/٨٢	١٢٣	١٧٥٩	١٢٥٥

المصدر : Statistical abstract of Israel 1984,1985,1986

كما بين الجدول السابق استغلال الاسرائيليون للمياه في الداخل ولاعطاء صورة المقارنة فان استغلال اسرائيل للمياه في الضفة الغربية فهى كالاتى :

٥٢ مليون متر مكعب لري المستوطنات.

١٢ مليون متر مكعب لمياه الشرب.

اي ان اليهود البالغ عددهم في الضفة الغربية ٤٠ الف نسمة يخططون للاستفادة من ٦٣٪ من مياه الضفة الغربية ويبقى للعرب ٣٪ ليبلغ حد الاستهلاك (النسبية) ما يستهلكه الاسرائيليون في داخل اسرائيل حيث انه كما بين في الجدول السابق يتم استغلال ٦٦٪ من مصادر اسرائيل المائية.

وبعبارة ادق فان اسرائيل تستهلك ٦٦٪ من المصادر المائية العامة لها. تخطط حاليا لاستهلاك ٦٣٪ من هذه الكمية من المصادر العربية.

اما بالنسبة لكمية المياه التي يستغلها العرب في الضفة الغربية فانها تقدر ما بين ١٠٠ - ١٢٠ مليون متر مكعب اي في حدود ٦٪ فقط من الاستهلاك المائي الاسرائيلي. ويلاحظ ان معدل استهلاك الفرد من المياه في اسرائيل يزيد بحوالي ٤ اضعاف عما هو عليه في الضفة الغربية.

تقديرات استهلاك المياه في الضفة الغربية لعام ١٩٨٣
(مليون متر مكعب)

	الضفة الغربية	اسرائيل
الزراعة	٨٨	١ر٢٨٢
الصناعة	٢	١.٣
الاستهلاك المنزلي	١٠	٣٨٥
المعدل العام	١٠٢	١٧٧٠
لاستهلاك الفرد (متر مكعب)	١٣٢	٤٤٣

المصدر: هشام عورتاني - انماط استخدام الاراضي والمياه للاغراض الزراعية في الضفة الغربية.

Digitized by Birzeit University Library

ولبيان الخلل في استغلال المياه وسوء التوزيع بين العرب واليهود في الاغوار اورد الجدول الاتي:

اجمالي المياه الجوفية في الاغوار	عدد العرب	عدد اليهود	الاستهلاك العربي مليون م٣	الاستهلاك اليهودي مليون م٣
٩٨ مليون م٣	٣٠٢٧٦	٤٠٠٠	٥٦	٤٢

الميزانية المائية في الضفة الغربية:

. الحقيقة ان بيان رقم دقيق للمخزون المائي في الضفة الغربية امر في غاية الصعوبة وذلك لتعدد المصادر وللاسف فان معظم الارقام التي يتناولها الباحثون العرب هي ارقام اسرائيلية ومعظمهم من غير المتخصصين وقد حاول الباحث قدر الامكان حساب الارقام التي يمكن استخلاصها بطرق رياضية بحته بعيدا عن الارقام الاسرائيلية . ولهذا السبب يرى الاختلاف واضحا بين هذه الدراسة وكثير من الدراسات السابقة.

وخلاصة هذه الحسابات تم تركيب الجدول الاتي:

مصادر تخزين مليون م٣	نوع التفريغ مليون م٣
امطار ٢٨٠٠	تبخر تقريبا ٤٥٠ ٥
	ينابيع ٧٥
	أبار ارتوازية ٤٤
	تسرب طبيعي ٤٧١

لم يتم حساب المياه السطحية في هذا الجدول حيث بحث موضوع استغلال مياه نهر الاردن في موضع اخر اولا وان مياه نهر الاردن هي معظمها من خارج حدود فلسطين.

نتائج وتوصيات:

بقدر ما تسنى للباحث من الاطلاع على المصادر العربية التي درست المنطقة لم يكن هناك ربط عام ومتخصص بين جيولوجية الضفة الغربية والصفات الهيدرولوجية ولذلك حاول الباحث في هذا العمل ربط عام بين جيولوجية الضفة الغربية والوضع المائي محاولا تفسير كثير من الظواهر الهيدروجيولوجية وبناء على ذلك توصل الباحث الى عدة نتائج وثبت نتائج اخرى توصلت لها دراسات سابقة موصيا ومستنتجا الاتي :

١. اعتمد الباحث "قدر الامكان" الارقام العربية والمصادر الاولية لحساب كمية المطر ومعدل التبخر وذلك لان الارقام الاسرائيلية مضللة في كثير من الاحيان حيث قدرت كمية الامطار ٢٨٠٠ مليون متر مكعب ومعدل التبخر لا يتجاوز ٤٠٪.

Digitized by Birzeit University Library

٢. ان هناك كثيرا من المعلومات التي وردت في هذا البحث "وخصوصا المعلومات الجيولوجية" اعتمدها الباحث بعد عدة زيارات ميدانية لكثير من الاماكن حيث شارك الباحث في فريق عمل من لجنة الاغاثة الزراعية لدراسة عدد من الينابيع. *

٣. من الارقام التي وردت في هذه الدراسة تبين ان الجزء الاعظم من المياه السطحية في الضفة الغربية من خارج حدود فلسطين ولذلك وجد الباحث من المناسب جعلها خارج الميزان المائي للضفة الغربية . كون هذه المياه غير مضمونه عند وضع خطة لاستغلال جميع مصادر المياه الفلسطينية .

٤. التركيز الذي توليه السلطات على القطاع الزراعي والصناعي يتطلب احتياج مياه اكثر في الاعوام القادمة ويعني هذا استغلال اكثر واستنزاف للمخزون المائي بسرعة اكبر حيث ان مصادر المياه الاسرائيلية بدأت في العد العكسي وبدأت ارقام العجز المائي تظهر بشكل مخيف . حيث ان معظم المستوطنات في الاغوار ذات طابع زراعي.

٥. ان المشكلة الهامة التي يجب التنبه لها هي احتمال (وهو احتمال بدأ ظهوره في كثير من ابار الاغوار) تسرب المياه المالحة في مناطق كثيرة نتيجةالضخ المركز على كثير من الابار اولا والعمق الكبير للابار الحديثة.

٦. بناء على التقدير المائي الذي قدمه الوفد الاسرائيلي لمؤتمر نيروبي عام ١٩٧٨ ان العجز المائي هو ١٧٠٠ مليون متر مكعب. وهذا يبين ان السلطات سوف تبحث عن مصادر مياه جديدة ولو خارج حدودها.

٧. عدد الابار العربية (٣١٤) بئرا والابار الاسرائيلية في الضفة الغربية ١٧ بئرا في (اقل حدوده) تضخ هذه الاخيرة ٣٧٪ من مجموع ما تضخه الابار العربية.

٨. هناك اعتقاد لدى الباحث انه كان من الممكن خلال الاعوام السابقة تنمية الاغوار حيث انه لم يستغل غير ١٨٪ من المياه النظرية الموجودة في المنطقة و ٤٥٪ من كمية المياه المستغلة قبل عام ١٩٦٧. وهذا مما يسترعي الاهتمام ويوجب اعادة النظر في الامور التي يجب حسابها بتوزيع اموال الدعم.

٩. لدى الباحث انطباع ان زيادة حفر ابار الجمع وتشجيعها عند المزارع والمواطن الفلسطيني تساهم في حل جزء من المشكلة وتشجيع نظام التغذية الاصطناعية في تغذيةArtificial Recharge الابار الارتوازية.

١٠. استغلال المياه المتسربة من الينابيع واصلاح هذه الينابيع وتركيب مضخات تقوم بضخ المياه الى احواض تجمع بها ومن ثم توزيعها على الاراضي كمياه ري.

١١. ان تقوم البلديات الكبيرة التي لها نظام وشبكة مجاري بتكرير وتنقية المياه حيث تخزن هذه المياه في برك ويمكن استغلال هذه المياه في الزراعة.

١٢. ان يشكل فريق عمل مكون من مهندسين هيدروجيولوجيين ومن خبراء ري وزراعة ويتم دراسة المصادر المائية في الضفة الغربية على شكل مناطق ويتم الاستفادة من الدراسات التي جرت على الجزء الشرقي من الاغوار(الاغوار الاردنية) لانها شبيهة للاغوار الغربية من حيث مصادر المياه والوضع الجيولوجي والظروف المناخية.

* هذه الكمية لم يتم ادخال عامل التبخر فيها ولذلك فهي كمية التبخر الحقيقي وتتراوح بين ١٥ -٢٠٪ من مجموع ما يتساقط من امطار.

Digitized by Birzeit University Library

١٣. ان يتشكل هذا الفريق باشراف مؤسسة علمية ليتمكن هذا الفريق من وضع تصور ادنى للموضوع المائي في الضفة الغربية بعيدا عن الاحصائيات الاسرائيلية .

المصادر

أ - المصادر العربية:

١) ابو عرفة عبد الرحمن : "وادي الاردن - دراسة تحليلية للخواص البيئية والاقتصادية والسياسية" - جمعية الدراسات العربية - القدس (شباط ١٩٨٤).

٢) ابو كشك بكر :"اراضي الضفة الغربية وقطاع غزة ومشاكلها والعراقيل التي تحول دون تطويرها"ملتقى الفكري العربي - القدس ١٩٨١.

٣) الانصاري، عاصم :"الابعاد الحقوقية للاراضي والمياه في فلسطين المحتلة ورقة مقدمة لمؤتمر التنمية من اجل الصمود - القدس. ملتقى الفكر العربي القدس - ١٩٨١.

٤) اسير :"المؤسسة العلمية العربية للابحاث ونقل التكنولوجيا "الوضع المائي في الضفة الغربية وقطاع غزة" " ندوة مصادر المياه واستخداماتها في الوطن العربي - الكويت ١٧ - ٢٠ شباط ١٩٨٦).

٥) جريدة القدس ١٩ شباط ٨٧ رقم ٦٢٧٩.

٦) عوروتاني هشام :"انماط استخدام الاراضي والمياه للاغراض الزراعية في الضفة الغربية" - مجلة صامد الاقتصادي السنة الثامنة عدد ١١١ حزيران ١٩٨٦.

٧) ملتقى الفكر العربي - السياسة المائية في الضفة الغربية المحتلة - ورقة مقدمة لمؤتمر التنمية من اجل الصمود - القدس ١٩٨١.

٨) صامد الاقتصادي (مجلة) السنة الخامسة العدد ٤٥ ايلول .ايلول - تشرين اول ١٩٨٢.

المصادر الاجنبية

1) S. Arlosorff. "Water Resources Development & Managment In Israel "Kidma No.10/1977 Vol.3.No.2

2) Shahinci. A. "General Hydrogeology".
dokuz Eylul University - Turkey (1983).

3) Shahinci. A. "Ground Water Chemistry"
Dokuz Eylul University - Turkey (1986).

4) Statistical Abstract of Israel 1984, 1985, 1986.
Central Bareau of Statistics.

5) Judea , Sameria & Gaza Strip Area Statistics. Israel. Central Bareau of Statistics. Vol XVI 1986, No.2.

6) Geological Map of Jordan
Geological Survey of the Germany . Haover 1986.

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

ملحق رقم (١)

معدلات التبخر والمطر في الضفة الغربية لعام ١٩٨٢ وفق طريقة Thorntwait

الشهر	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
معدل درجات الحرارة الشهري	٥ر٩	١٠ر٢٣	١١ر٦٦	١٧ر٩٥	٢١ر٩	٢٥ر٣٣	٢٦ر٢٢	٢٣ر٧	٢٣ر٩٢	٢٢ر٠٢	٤٣ر٩	١٣ر٠
معدل القدرة على التبخر (ملمتر)	١٦ر٣	١٩ر٠١	٢٤ر٨	٥٩ر٨	٩٠ر٥	١٢١ر٩	١٣٠ر٩	١٠٦ر٤	١٠٨ر٢	٩١ر٥	٣٥ر٦	٢٤ر١
معدل المطر (ملمتر)	١٣٩ر٧	١٢٥ر٥	٧٤ر٥٥	٣٩ر٩	-	-	-	-	-	٢٦ر٤	٦٨ر٠٧	١٥٦ر٩
الفائض المائي المطر - التبخر	١٢٣ر٤	١٠٦ر٥	٤٩ر٧٥	١٩ر٩	-	-	-	-	-	-٦٥ر١	٣٢ر٤٧	١٢٢ر٨
المخزون المائي(نظري)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٩٩ر٧	٩ر٢	-	-	-	-	٦٥ر١	٣٢ر٦٣	٩٠ر٣
الرطوبة(للتربة) $\frac{P-E}{E}$	٥ر٧	٥ر٦	٢ر٠	-	-	-	-	-	-	-	-	٣ر٦

E

E

ملاحظات:

١) تم احتساب معدل درجات الحرارة حسب القياسات المأخوذة من المحطات (نابلس،طولكرم ، اريحا ، العروب).

٢) تعتمد هذه الطريقة في حساب كمية التبخر على المعادلة $E = 16(10t/I)a$

حيث ان القدرة على التبخر E

معدل درجات الحرارة الشهري t=

معامل يحسب بطرق رياضية I

معامل يعتمد في حسابه على $a = I$

Digitized by Birzeit University Library

ملحق رقم (٢)

معدلات القدرة على التبخر والنتح في الضفة الغربية حسب الاشهر لعام ١٩٨٣

الشهر	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
معدل درجات الحرارة الشهري	١٠ر٦٥	١٠ر٠٢	١٢ر٩٨	١٦	٢١ر٦	٢٥ر١٨	٢٦ر٦	٢٥ر٣	٢٤ر٢٦	٢١ر٧٧	١٨	١٣ر٥
المعامل الشهري	٣ر١٤	٢ر٨٧	٤ر٢٣	٥ر٨١	٩ر١٦	١١ر٥٥	١٢ر٥٦	١١ر٦٧	١٠ر٩٢	٩ر٢٧	٦ر٩	٤ر٥٢
القدرة على التبخر (ملمتر) والنتح.	٢٧	١٨ر٧٤	٣١ر٦	٤٨ر٢	٨٨ر٤	١٢٦ر٥	١٣٤ر٦	١٢٠ر٥	١١ر٢	٨٩ر٩	٦١ر٦	٣٤ر٤

ملاحظات:

- مجموع القدرة على التبخر والنتح سنويا = ٨٨٦ ملمتر.
- المعامل الشهري = معامل يتم احتسابه وفقا للمعادلات الرياضية التي تأخذ بعين الاعتبار خطوط العرض ويتم احتسابه لكل شهر على حدى ثم تجمع المعاملات ليخرج المعامل السنوي.
- تم تطبيق هذه الطريقة ايضا لسنوات سابقة ١٩٧٩ - ١٩٨١ وكانت النتيجة متشابهة تقريبا.

الصراع السياسى داخل الحركة الوطنية الفلسطينية

مراجعة - محمد مناصرة -

صدر عن منشورات البيادر بالقدس في تموز الماضى ١٩٨٧ ، كتاب جديد في التاريخ بعنوان "الصراع السياسى داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ما بين ١٩١٩ - ١٩٣٩" للدكتور مناويل حساسيان.

تعريف بالمؤلف

ولد المؤلف في مدينة القدس عام ١٩٥٤ ، حصل على شهادة البكالوريوس من الجامعة الاميركية في بيروت ، وشهادة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة توليدو بولاية اوهايو الاميركية ثم نال درجة الدكتوراه في النظم السياسية المقارنة والعلاقات الدولية من جامعة سنسيناتي بأوهايو في الولايات المتحدة الاميركية.

ويشغل حاليا منصب عميد شؤون الطلبة في جامعة بيت لحم الى جانب عمله كأستاذ مساعد في قسم الدراسات والعلوم الانسانية بالجامعة. وللمؤلف عدة مقالات ودراسات منشورة تمت طباعة بعضها ومنها "صراع الشعب الارمني في حق تقرير المصير" ودراسة حول "حزب الطاشناق الثوري" اللتين طبعتا باللغة الانجليزية وصدرتا عام ١٩٨٣.

والكتاب الجديد ترجمة لاطروحة المؤلف باللغة الانجليزية التي قدمها لجامعة سنسيناتي بأوهايو لنيل شهادة الدكتوراه ، وقد تضمن الكتاب خمسة فصول ، الفصل الاول منها تضمن مدخلا تاريخيا لعله اكثر ما في الكتاب من اثارة،والفصول الاخرى عالج فيها تفاصيل تتعلق بعنوان الكتاب بالاضافة الى باب خاص بالملاحق التي اشير الى انها تنشر لاول مرة ومن المتوقع ان يتم تدريس مادة الكتاب في مساق العلوم السياسية.

وقد وصف الاستاذ علي الخليلي الكتاب الجديد في جريدة الفجر الصادرة يوم ١٩٨٧/٨/٢٩ / ص٨ / ع١ ، بانه "يمثل اضافة جديدة هامة وموثقة لمكتبة التاريخ المعاصر ... واحسب جامعاتنا المحلية سوف تعتني قبل غيرها بهذا الكتاب في كلياتها واقسامها المتخصصة".

Digitized by Birzeit University Library

قدم للكتاب

اما الاستاذ طاهر هاشم النمري فقد قدم تعريفا مطولا للكتاب وللمؤلف على امتداد سبعة عشرة صفحة وصف فيها المؤلف بانه "العالم المؤرخ والعالم السياسي" ص١١، وان مادة الكتاب اتسمت "بالحيادية ومراعاة الدقة والامانة واستخلاص الاحكام بربط الاسباب بمسبباتها وبالتجرد من الهوى" ص٢٥. واشار في تعريفه بمادة الكتاب وتلخيصه لها لعدم جدوى مناقشة الكتاب ونقده معللا ذلك بالقول ان التاريخ عادة" قد يستتبع النقد او يجر الى الخلافات في الرأي ، واطلاق الاحكام عليها سلبا وايجابا " (ولكن المؤلف م.م) قد ان انقذنا من هذه المعاناة (معاناة الاختلاف بالرأي - م.م) فابان لنا وضوح الرؤية وازال غشاوة التشويشات التي تعتري الذهن ، وما كان ذلك ليكون لولا منهجية الدراسة العلمية" ص١١ من الكتاب.

الموضوعات قيد البحث والمناقشة

يتناول الكتاب موضوعا هاما في الوجدان الفلسطيني، تاريخه وحاضره يتفاعلان حتى اللحظة والى وقت قد يطول سيستمر تأثيرهما على مستقبل الصراع التاريخي بيننا وبين ورثة الصهيونية وحلفائهم.

ولكني لن اتناول في هذا الحوار كافة موضوعات وفصول هذا الكتاب الهام والمثير ، وانما سأتناول واتعرض لبعض موضوعات الكتاب ومضامينه التي رأيت ضروريا التوقف عندها والتي اتعارض فيها مع المؤلف.

اما الموضوعات التي سأتعرض لها فهي الموضوعات الواردة بشكل خاص في الفصل الاول من الكتاب والمتعلقة ب :

١- موضوعةالجذور العميقة والتعلقات العاطفية لليهود بفلسطين .

٢- اعتبار الحركة الصهيونية حركة قومية ملهمة لليهود .

٣- الدوافع البريطانية لاصدار وعد بلفور التي جرى تقديمها.

واود الاشارة مسبقا الى ان تباين موقفي مع موقف المؤلف لا ينتقص من تقديري واحترامي لجهد صديقي الدكتور مناويل حساسيان الذي لا يخامرني الشك بصدق وفائه وانتمائه لقضيتنا الوطنيةولكني على ثقة في نفس الوقت بصديقي في انه سيتفهم ان صداقتنا لا تحول دون ان نختلف خاصة وان الموضوع قيد البحث يتعلق بقضيتنا المصيرية التي نختلف في النظر لاسبابها وما يحيط بها من مؤثرات مهما تميز خلافنا بالقسوة الناجمة عن حساسية الموضوع ذاته وخطورة تناوله .

وان ما يحفزني لهذا الحوار هو اني ارى ان بعض الاكاديميين قد اغرقوا انفسهم في تأريخ الوعي، بدلا من تأريخ الواقع ، هذا الوعي المروج له منذ قرابة مئة عام،من اولئك الذين يرشون التاريخ ويسخرونه لخدمة مصالحهم الاستعمارية ، والذي قد تم ابتلاع كمية غير قليلة منه من جانب اكاديميين عديدين ، بحيث اصبح وعي الصهيونية ، وعيها المصنوع في مطابخ المصالح الاستعمارية القيصرية الروسية والالمانية والفرنسية والبريطانية والاميركية لاحقا مسلمات يؤخذ بهاويتم تلزيقها في التاريخ ، في الواقع التاريخي الممتد .

Digitized by Birzeit University Library

ظهور الصهيونية والوطنية الفلسطينية

انشأ المؤلف في سياق هذا العنوان يقول ، بان فلسطين "اصبحت على امتداد تاريخها الطويل موضع ادعاءات سياسية متصارعة ، وارتباطات دينية شديدة ، فعلى مر العصور ، طور العرب واليهود جذورا عميقة فيها وتعلقات عاطفية بها، وعندما حان الوقت ، اصبحت الجذور والتعلقات عنصرا هاما في تطوير قوميتين منفصلتين ، لكنهما متصارعتين "القومية العربية والصهيونية ، وكافحت كلتا القوميتين للفوز بالسيطرة في نهاية المطاف على فلسطين" ص٢٨.

وللتدليل على اعتبار الحركة الصهيونية "قومية!" ، وبالاعتماد على اسلوب النسق الزمني الصاعد يضيف المؤلف في مكان لاحق " والواقع انه يمكن اعتبار الحركة الصهيونية حركة ملهمة وبديلا للاضطهاد والاذلال في الاحياء اليهودية (الغيتو) في اوروبا حيث حددت اقامة اليهود وتم عزلهم فيها" ٢٩.

وللتأكيد على ما انشأ يقول حول "الارتباط التاريخي" بين الصهيونية واليهود او بين اليهود وفلسطين ، او بين الصهيونية وفلسطين ، يعرج المؤلف لاستخدام اسلوب النسق الزمني المتقطع ، فيتوقف ليعتمد نصا من الموسوعة اليهودية المجلد ١٦ (القدس ١٩٧٢) ص ٣٢ ١٠ ، كما هو واضح في حواشي الفصل الاول ، بان كلمة صهيون ، جاءت "من نظيرتها بالعبرية التي تعني التلة الصخرية الجافة ، وتشير الكلمة تاريخيا الى احدى السلاسل الجبلية التي بنيت عليها القدس ، ثم اصبحت الصهيونية والقدس في النهاية ، كلمتين مترادفتين تعنيان منذ طرد اليهود من القدس عام ٧٣ بعد الميلاد على يد الرومان : الحنين الى ارض المعياد" ص٣٠.

ويعود المؤلف ثانية للنسق الزمني الصاعد مستشهدا بما يرويه هاري زوهن في كتابه "ثيودور هرتزل " : كتابات صهيونية ، مقالات وخطب" بان "الصهيونية تعني العودة لليهودية حتى قبل ان تتم العودة للارض اليهودية ... وتبعا لذلك فان حركتنا (اي الصهيونية - م.م) ستباشر العمل في قضية معقولة فقط ، اذا كافحت من اجل الحصول على ضمانات بموجب القانون العام" ص٣٠.

ولكي يبلغ النسق الزمني الصاعد تأثيره ، يستعين المؤلف ايضا بالنسق الزمني الهابط ، فيعتمد تعقيبا دراميا على برنامج المؤتمر الصهيوني الاول والقاضي باقامة وطن يهودي في فلسطين فيقول " ومما يؤسف له ، ان الصهيونية اظهرت في مراحلها الاولى على الاقل جهلا يكاد يكون كاملا بحقيقة ان في فلسطين سكانا عربا راسخة جذورهم في ترابها طوال مئات السنين ، وقد اتضح هذا الجهل من استعمال الصهيونية المتكرر شعارها المزعوم : ارض بلا شعب ، لشعب بلا ارض "(!) ص٣١.

- بهذه "الحقائق" و" الوقائع" يفتتح المؤلف كتابه في الفصل الاول ، فهل حقا وفعلا طور اليهود "جذورا" و"تعلقات عاطفية" بفلسطين ،"وعندما حان الوقت" تحولت وأُضْحَتْ هذه الجذور والتعلقات "قومية" تصارع للفوز بفلسطين ، وتشق لها طريقا ومكانا في اوساط الحركات القومية التحررية في العالم ؟!

- وهل حقا كانت الصهيونية حلما وطموحا ومحورا للاهتمام لدى الطوائف اليهودية عبر العصور ؟ وهل يمكن اعتبار الصهيونية حقا "حركة ملهمة" لليهود "وبديلا للاضطهاد والاذلال" في الاحياء اليهودية "الغيتوات" ، وهل كانت هذه "الغيتوات" في كل الازمان وجميع الامكنة في

Digitized by Birzeit University Library

المفتوح المطلق ؟ او ان اقامة هذه "الغيتوات" تمت من قبل الاغيار،غير اليهود ، ضدهم،في المفتوح المطلق ايضا ؟

- وهل كان قادة الحركة الصهيونية والحركة برمتها على "جهل بحقيقة ان في فلسطين سكانا عربا" راسخة جذورهم" جهلا يكاد يكون كاملا"؟ وهل يصلح الاستناد الى الشعار الذي ترددد الصهيونية "ارض بلا شعب ، لشعب بلا ارض" للتدليل على هذا "الجهل"؟!

- وهل يمكننا وباي مقاييس ان نعتبر الحركة الصهيونية "حركة قومية" ! وبالانسجام مع اي المناهج العلمية ، الموضوعية ، الحيادية ؟

اسئلة كثيرة تثار على خلفية هذا المدخل التاريخي ، وكنت اتمنى لو اهتم الذين قدموا للكتاب او رحبو به بالتوقف عند هذه الاسئلة ، لكانوا بذلك قد اسدوا خدمة للكتاب وللمؤلف وللجمهور ايضا .

موضوعة الجذور العميقة

والتعلقات العاطفية بفلسطين

اني لا اشارك المؤلف رأيه في موضوعته عن الجذور والتعلقات العاطفية التاريخية لليهود بفلسطين من جهة ولا اشاركه الرأي بالعلاقة ما بين هذه الجذور (لو صحت) والحركة الصهيونية . ولم تكن سببا تراكميا ، ادى عندما "حان الوقت" لتطوير "قومية صهيونية" تكافح من اجل الفوز بفلسطين .

ومما يؤسف له ان بعض الشباب الاكاديميين العرب ممن قابلتهم في الولايات المتحدة الاميركية ، او قابلتهم هنا ممن تخرجوا من الجامعات الاميركية والذين يصنفون انفسهم او يمكن تصنيفهم بانهم من انصار "اليسار الجديد" قد تشربوا اثناء دراستهم في الجامعات الاميركية وخاصة في معاهد وكليات ودوائر العلوم السياسية "ماركسية مزركشة" ملفوفة بتنقيحات "مدرسة فرانكفورت" التي تخصصت في العداء للشيوعية وخرّجت افواجا من المنظرين ضد الطبقة العاملة العالمية والدول الاشتراكية ابان وبعد المكارثية سيئة الصيت ، او تشربوا "ابداعات !"رالف داهرندورف احد زعماء مدرسة الصراع السوسيولوجية في الولايات المتحدة الذي يجري ترويج افكاره في الجامعات الاميركية وجامعاتنا المحليةوالعربية باعتبارها اعادة نظر في الفلسفة الماركسية ، وتشربوا "ابداعات!" رايت ميلز وغيرهم ، مما افقد هذا البعض امكانيات

الاستفادة من المداخل الاساسية للنظرية الماركسية في المعرفة التي تستند في تحليل الظواهر لمبدأ التحليل التاريخي الواقعي المرتبط بنمط حياة الناس في المرحلة المعينة ، وتطور وارتباط هذه الظواهر المتناولة الشامل، ومدخل الموضوعية في اختيار الاحداث الهامة في التاريخ، فابتلع كثير منهم كميات لا بأس بها من الوقائع غير المثبتة وغير المعللة تاريخيا، وجرّى التعامل في ابحاثهم مع وقائع التاريخ المزيفة او المنتقاة بوصفها مسلمات بدهية ، ومن هذه المعلومات التي ابتلعها هذا البعض وتبدو واضحة وجهات نظرهم نحو التاريخ فيما تروجه الصهيونية عن اسطورة الجذور التاريخية لليهود وتعلقاتهم بفلسطين وارتباط هذه التعلقات بالصهيونية نفسها ، بالاضافة الى اسطورة الشتات التي تم "فرضها بالقوة" على اليهود. والتي تستند على انتقاء بعض حوادث

Digitized by Birzeit University Library

التاريخ غير المرتبطة لتبريرها وتثبيتها في الاذهان .

ولقد حذرنا يوري ايفانوف " ان ذكر الصهيونية ، يبعث في مخيلة غير العارفين بها ، تصورات مرتبطة ، اما بدولة اسرائيل ، واما باليهود على العموم ، وهذه التصورات الخاطئة هي التي تطيب اكثر ما تطيب لزعماء الصهيونية العالمية ، وهذه النظرات هي التي تروج لها الدعاية الصهيونية وتعمل على ترسيخها في الاذهان" (١).

ان موضوعة الجذور العميقة والتعلقات العاطفية لليهود بفلسطين ترتكز على ترويج اسطورتين ، اسطورة "الشتات" التي فرضت قسرا على اليهود حين جرى طردهم من القدس عام ٧٣ بعد الميلاد على ايدي الرومان، ولولا هذا "الطرد" ! لما جرى تشتيت اليهود في العالم !

وترتكز ايضا على اسطورة "الشوق الخالد" او "الحنين الى ارض الميعاد" التي وصفها المؤلف بانها ظلت تتطور الى ان حان الوقت واصبحت عنصرا مهما في تكوين "قومية صهيونية"!

أ) اسطورة الشتات:

لقد علق خالد الذكر د.اميل توما على اسطورة الشتات فقال :" ان التاريخ ينسف هذه الاسطورة تماما ، ويلاحظ ان اليهود رحلوا عن ارض الميعاد طلبا للرزق قبل ان يطاردهم احد ... وقبل سبي بابل في القرن السادس قبل الميلاد " (٢) وليس فقط كما تزعم الصهيونية حين جرت ملاحقتهم بعد الميلاد ب ٧٠ عاما على ايدي الرومان وليس كما ورد في الكتاب قيد المناقشة ، وبالاستناد على ما يقوله ناتال او سيبال في مؤلفه "كتاب المعرفة اليهودية" عن واقعة الشتات فان "الحقيقة الساطعة انه من قبل الكارثة ، كان تشتت اليهود يتسع منذ وقت طويل" (٣) اي قبل تدمير الهيكل ، فيخلص اميل توما الى انه "من التعدي على التاريخ والعقلانية العلمية ، الحديث عن الصهيونية منذ فجر التاريخ ، والخروج من مصر ، او عن اجبار اليهود على الشتات" (٤) . ففي مصر وحدها وخاصة في مدينة الاسكندرية وقبل تدمير الهيكل بعقود وقرون كان عدد اليهود فيها "٤٠٪ من مجمل السكان" (٥) ، وفي الامبراطورية الرومانية وعشية ظهور المسيحية ،كان في فلسطين "٧٠٠ الف نسمة بينما كان عددهم (اي اليهود - م.م) في الامبراطورية الرومانية وحدها يناهز الاربعة ملايين"(٦) .

ويؤكد المؤرخون بان اليهود المنتشرين في مناطق عديدة وقبل تدمير الهيكل بسنين طويلة قد جرى تمثلهم مع البيئات المحيطة ، فاشادوا "الكنس حيثما كانوا واعتقدوا بان الحكمة والنبوة وتألق التوراة واشعاعها على شعبها تشع من بابل وليس من القدس كما اوضح ذلك بالوقائع يوري ايفانوف (٧) . وانتشروا في سوريا وايطاليا واليونان وقبل حادثة الهيكل بقرون ايضا. حتى ان نبوخذ نصر بعد ان استولى على فلسطين و"سوق قسم كبير من اليهود الى بابل .. رأى هؤلاء في بلد المنفى طوائف يهودية كثيرة الافراد ومستقرة جيدا ، نشأت هناك في القرن الثامن قبل الميلاد وانضم الغرباء الى صفوف هذه الطوائف "(٨).

وامام هذه الوقائع ، هل تصمد اسطورة الصهيونية بان "تشتيت اليهود" قد جرى بالعنف ، حين تم طردهم من القدس عام ٧٣ بعد الميلاد.

ان ترويج هذه الاسطورة "تشتيت اليهود بالعنف" الذي فرضته "ظلما!" الشعوب الاخرى ، انما تهدف منه الصهيونية لدفع اليهود ووضعهم في تعارض مع الشعوب الاخرى ، ولترسيخ القناعة الايديولوجية العنصرية القائلة "بتميز" اليهود و"انفراديتهم" التي لا مثيل لها على وجه الارض ! لتتأمن لها امكانية تسخير الدين للاستحواذ على طاقة الجماهير اليهودية واستخدامها بسهولة

Digitized by Birzeit University Library

كاداة هامة من ادوات الامبريالية العالمية.

ب) الشوق والتعلقات العاطفية بفلسطين !

لا يحتاج المرء لجهد كثير في العثور على الكتاب المقدس ، ليرى المعتقدات الدينية اليهودية بشأن العودة الى القدس ، انما ارتبطت بالحلم بعودة قدوم المسيح من جديد ، وبعودة الرب الذي سيعيد شعبه المفضل الى جبل صهيون . وليرى بانها لم ترتبط باي احلام بالصهيونية ولا بثيودور هرتزل ولم يكن في مخيلة اي يهودي انذاك التعلق بشخص منتظر اسمه البارون روتشيلد او بن غوريون ولا حتى مناحيم بيغن ! . وحتى هذه التصورات الدينية والاحلام في العودة لم تكن قط تتميز بالتواصل في المفتوح المطلق زمانيا ومكانيا ، بل كانت ترتبط على الدوام باوقات معينة عند قسم من الطوائف اليهودية "حين كانت الطائفة اليهودية في ذلك القطر او ذاك وفي التاريخ المعين تعيش في ظروف صعبة ، تتوق الى الخلاص ، فتتشبث بالمسيحية وفكرة العودة الى صهيون" (٩).

ومن جهة اخرى في عام "٥٣٨ قبل الميلاد عمد قورش سيد الامبراطورية الفارسية الذي استولى على بابل ، واصدر قرارا يسمح لليهود بالعودة الى اورشليم وذلك سعيا منه لتقوية فلسطين، خدمة لاغراضه الخاصة ، ماذا حدث ؟ كما لاحظ الحاخام الاكبر في بريطانيا العظمى في عام ١٩١٧ ... ولكن السواد الاعظم من السكان اليهود بقوا في بابل " (١٠).

وليس هذا وحسب ، بل ان وقائع التاريخ تؤكد انه حتى بعد هدم الهيكل وطرد قسم من اليهود في عام ٧٣ بعد الميلاد ، فان اليهود واصلوا الهجرة باختيارهم من فلسطين واحيانا تمت هجرتهم بالسر للقيود المفروضة على سفرهم نحو مناطق معينة كمصر في عهد كلوديوس . فحين عمد هذا الامبراطور الروماني "بعد اصطدام من الاصطدامات بين الطائفتين اليهودية واليونانية في الاسكندرية نجم عن التنافس الاقتصادي والسياسي بينهما .. وامر اليونانيين باحترام الحريات التي منحها اغسطس لليهود . وحذر اليهود في الوقت نفسه من ان لا يبتزوا امتيازات اكثر .. وان لا يشجعوا هجرة اليهود الفلسطينيين سرا وخلسة الى مصر" (١١) . وقد استند يوري ايفانوف هنا على ما جاء في مؤلف "العالم القديم" للباحثين الاميركيين سكرافوزا وماكندريك.

ان عملية سير التاريخ كله تؤكد على بطلان المزاعم الصهيونية "بالشوق الخالد " للقدس وبطلان المزاعم عن "التعلقات العاطفية بفلسطين" ففي مراحل متأخرة وفي عهد الامبراطورية العثمانية كان اليهود "يتنقلون بلا عائق في جميع اراضي الامبراطورية الشاسعة الممتدة من شمال افريقيا الى البلقان .. وبمزيد من الترحاب كانت السلطات الامبراطورية العثمانية تعامل الهاربين من اوروبا المسيحية،ولكن المهاجرين والرعايا اليهود كانت تجتذبهم تلك المناطق من الامبراطورية حيث الظروف الاقتصادية والسياسية انسب وافيد الى القسطنطينية او دمشق او القاهرة ، اكثر مما كانت تجتذبهم فلسطين (كما اكد البحاثة الصهيوني الاميركي بن هالبيرين)" (١٢).

وليس هذا وحسب ، بل وفي مراحل متأخرة اكثر وقبل مئة عام وسنتين ، اي عام ١٨٨٥ يورد يوري ايفانوف الحقيقة التالية ، انه عندما "انعقد في بيتسبورغ (الولايات المتحدة الاميركية) المؤتمر الوطني العام لممثلي الدين اليهودي الاصلاحي ، اعلن مندوبوه بالاجماع : نحن لا ننتظر العودة لفلسطين .. فان اميركا هي صهيوننا" (١٣) ، وعلى العموم فقد جرت احداث

Digitized by Birzeit University Library

مماثلة في عدد غير قليل من البلدان وفي نفس المرحلة كالمانيا وانجلترا وفرنسا ، فاية تعلقات عاطفية يعنيها المؤلف او من ابتلعوا في امعدتهم اسطورة "الشوق الخالد" وتجاهلوا حقائق تَمثُّل اليهود للغات وتقاليد وعادات وقيم وتراث الشعوب التي عاشوا فيها.

ان الحقيقة التي لا يستطيع اي باحث موضوعي تجاوزها هو ان اليهود على امتداد العصور كانوا خارج فلسطين اكثر عددا وبنسب عالية حتى يومنا هذا رغم كل المزاعم عن الحنين "لارض المعياد" . وتكفي الاجابة على السؤال (لماذا يرفض اليهود المنتشرين الان في العالم العودة "لارض الميعاد" رغم قيام اسرائيل ، الا يدل ذلك على بطلان المزاعم عن هذا "الحنين" وبطلان محاولة تصوير هذا الحنين وكانه فوق قوانين تطور المجتمع ومعزول عن اي ارتباطات ثقافية او اجتماعية او سياسية او تاريخية بشكل عام .

هل يمكن اعتبار الحركة الصهيونية

حركة قومية ملهمة ؟

لقد جرى الربط بين موضوعة "الغيتو" والحركة الصهيونية ، باعتبارها "المخلص" لليهودية ارث الالام التي عاناها اليهود في الغيتوات وتم اعتبارها "بديلا للاضطهاد والاذلال " ، فاضحت بفعل ذلك "حركة ملهمة" لليهود ، وفيما بعد عندما "حان الوقت" تحولت الى قومية ، تصارع من اجل الفوز بفلسطين .

أ) مسألة "الغيتوات" :

يسود الاعتقاد اوساط كثيرة في العالم الذي يخضع لتأثيرات الاعلام والدعاية الصهيونية ، بان "الغيتوات" قد فرضت قسرا على الطوائف اليهودية ، وبان هذا "الفرض القسري" قد جرى في كل الازمان وكل الاماكن بالمطلق . وليس هذا وحسب ، بل ويتم النظر لهذه "الغيتوات" ايضا بالمطلق على ان الأغيار ، غير اليهود،هم الذين فرضوا واقاموا هذه "الغيتوات" حول اليهود،وعزلوهم فيها.

ان مثل هذه الاراء "للغيتو" على انه "فرض قسري " من قبل الاخرين ضد الطوائف اليهودية ، ودون مراعاة لتنوع الاسباب ، او اختلاف الظروف ، او تعاقب المراحل التاريخية ، او تنوع الهيئات التي تفاعلت بينها الطوائف اليهودية ، وتمثلت مع معظمها على مر العصور ، انما هي اراء مخالفة للعقل والتفكير السليم ومخالفة لسير العملية التاريخية للبشرية.

وليس هناك خلاف في انه في بعض مراحل التاريخ ، وفي اطار الصراعات الاجتماعية المتنوعة بين الامبراطوريات او بين الطبقات قد جرت ممارسة الوان لا حصر لها من العسف والظلم والاستبداد بحق الشعوب ، وقد نالت الطوائف اليهودية او بعضها نصيب مما نالته الشعوب التي كانت الطوائف اليهودية جزءا منها.

وسير العملية التاريخية يبين لنا انه عندما كانت تجري ممارسة الوان المظالم والاستبداد ضد اليهود في بعض البلدان ، فان حال اليهود في بلدان اخرى كان يتميز بالازدهار، وكانوا يلقون الترحاب في حالة الهجرة من العسف من جانب البلدان التي يتوجهون اليها، وهكذا فعلت الامبراطورية العثمانية حين تعرض اليهود في اوروبا للاضطهاد .

Digitized by Birzeit University Library

كذلك فان الزعم بان "الغيتوات" قد فرضت على الطوائف اليهودية قسرا من قبل الاخرين غير اليهود هو زعم تنفيه الوقائع.

وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد اكد البحاثة الصهيوني البريطاني ساشار"ان اول الغيتوات في اسبانيا وصقلية ... في القرون الوسطى الباكرة ، قد اقيمت بناء على طلب اليهود انفسهم"(١٤) "وبالاستناد الى سالو بارون، يقول ليليبنتال ، البحاثة والكاتب الاجتماعي الاميركي ان الحاخامات ألحوا على الانفصال لاسباب سياسية ودينية ، ولذا كانت القوانين الاساسية التي تنظم حياة الغيتو قد اتخذت في البرتغال بناء على طلب اليهود القاطنين فيها" (١٥).

وباستمرار كان تردي حال الطوائف اليهودية او ازدهارها مرتبط بتردي وازدهار البلدان التي تواجدوا فيها ، وقد اوضح هذه المسالة اميل توما حين اشار الى اننا "نستطيع ان نلاحظ ان الطوائف اليهودية في مختلف انحاء الامبراطورية العربية الاسلامية ، ازدهرت مثلها مثل سائر الشعوب والطوائف ما دامت الامبراطورية في عصورها الذهبية وشاع فيها الاستقرار ، واصابها التدهور والجمود حين تدهورت الامبراطورية باشتداد الصراع الاجتماعي في داخلها .. ولعل ما طرأ على يهود اسبانيا في العهد العربي الاسلامي ، لأبلغ دليل على صحة هذاالارتباط ، فقط حين انتصر الاسبانيون على العرب واشاعوا محاكم التفتيش ، كان على اليهود مثلهم في ذلك مثل المسلمين ، ان يختاروا بين البقاء والتكثلك او الفرار والتشريد " (١٦).

وبالطبع لسنا بضحالة التفكير الصهيوني لنزج انفسنا ايضا في اطار الاحكام المطلقة عن التاريخ ، فنتجاهل انه قد جرت ممارسة استبداد او اضطهاد ضد الطوائف اليهودية ، ولكن الذي لا نوافق عليه هو الزعم بانه قد جرى اضطهادهم لاسباب "عرقية" او لمجرد انهم يهود كما تزعم الصهيونية ، فقد نالوا نصيبهم من الظلم او الازدهار تماما مثل غيرهم من الطوائف او الطبقات . وفي معرض الحديث عن الطبقات ، ينبغي ان نتذكر بان التاريخ يشهد على ان الميسورين والاغنياء من اليهود كانوا على الدوام في حال مختلف عن اليهود المعدمين وليس هذا موضع تناول هذه المسألة التي تحتاج لبحث خاص.

اننا لسنا بحاجة لاثبات ان الصهيونية حاولت الاستفادة من موضوعة "الغيتوات" لتثبت الفرية على التاريخ ، بان اليهود يحظون "بكره خالد" من الشعوب الاخرى . لتكرس المفاهيم عن "انعزاليتهم" و"نقاوة" عرقهم السخيفة . ولذا يكون مؤسفا ان نرى من يبعث في هذه "الخرافات" الحياة رغم ان ايديولوجيي الصهيونية الذي كتبوا هذه "الخرافات" قد تراجعوا عنها في المناظرات العلمية عن التاريخ . ويلجأون اليوم" لخرافات" جديدة تتناسب من وجهة نظرهم مع اهدافهم الآنية ، ولا يختلف اثنان اليوم على ان "الغيتو" الحقيقي هو الغيتو الروحي الذي اقامته الصهيونية حول اليهود بواسطة تعميم المفاهيم والافكار الشوفينية والعنصرية القاتلة بصفاء العرق اليهودي والكره الخالد لهم وانهم شعب الله المختار .

ب) هل الصهيونية حركة "قومية" ؟

اني لا اعتقد بان الجمعية العامة للامم المتحدة حين صادقت على قرار ادانة الحركة الصهيونية بوصفها حركة عنصرية وشكلا من اشكال التمييز العنصري في العاشر من تشرين الثاني ١٩٧٥ كانت غيرمحقة في ذلك . لا بل ان هذا القرار في الواقع قد جاء متأخرا سنوات وعقود طويلة .

ترى ؟ أعلينا ان نطالب هيئة الامم المتحدة باعادة النظر في قرارها على ضوء مقدمة المؤلف عن

Digitized by Birzeit University Library

ظهور الصهيونية ؟!

ان الحركة الصهيونية قد اثبتت بما لا يدع مجالا لاي شك في ايديولوجيتها وممارستها منذ لحظة نشوئها بانها حركة فاشية وعنصرية وليست موجهة ضد الشعب الفلسطيني وحسب وانما موجهة ضد الشعب الاسرائيلي نفسه وضد الطوائف اليهودية في العالم.

ان ثيودور هرتزل نفسه هو الذي "اتصل بقيصر المانيا وبالوزير القيصري افلبه الذي نظم المجازر ضد اليهود في روسيا القيصرية ، واقترح هرتزل عليه برنامجا صهيونيا يؤدي الى عزل العمال اليهود عن الحركة الثورية ، عن النضال ضد القيصرية ومن اجل الديمقراطية والاشتراكية "(١٧).

"وليست هناك دولة استعمارية لم تمنحها الصهيونية السياسية خدمتها ، ولا توجد دولة استعمارية لم تحاول بهذا الشكل او ذاك استغلال الصهيونية لاغراضها ولا سيما لفرض سيطرتها على الشرق الاوسط "(١٨).

وايضا "كشفت محاكمة ادولف كستنر التي جرت في القدس عام ١٩٥٢ عن التعاون بين الجلاد النازي ايخمان وزعيم صهيونيي هنغاريا ... فقد علم كستنر وزملاؤه تماما ان النازيين يرسلون يهود هنغاريا الى افران الموت ولكنهم فضلوا اخفاء ذلك عن اليهود مقابل وعد الجلاد النازي ايخمان بأن يمكّن عدة مئات من اليهود في الاساس زعماء صهيونيين واعضاء موالون للصهيونية من الهجرة الى فلسطين"(١٨).

وايضا جاء في قرار المؤتمر ال ١٦ للحزب الشيوعي الاسرائيلي (١٩٦٩) ايراد الحقيقة التالية التي اعترف بها عضو الكنيست حاييم لندوان في ندوة نظمتها صحيفة "معاريف" عام ١٩٦٦ فيقول "والحقيقة هي ان الوكالة اليهودية عرفت بالابادة عام ١٩٤٢ ، ومع ان الوتيرة لم تكن معروفة ، فان امر الابادة بالذات كان معروفا لادارة الوكالة اليهودية وللاوساط اليهودية في الولايات المتحدة ، والحقيقة هي انه لم يصمتوا فقط ، بل انهم اسكتوا اولئك الذين علموا "(٢٠).

وليس مصادفة بان الصهيونية ، من اشد الداعين للاسامية ، المشجعين لها لانهم بواسطتها حاولوا ويحاولون تمرير افكارهم العنصرية في الاوساط اليهودية، وقد وصف هرتزل اللاسامية بانها "حركة مفيدة لتطوير الخلق اليهودي".(٢١)

كذلك "فان الدكتور نوسيغ الزعيم الصهيوني والكاتب ، والنحات السياسي الذي عمل في مكتبه في برلين في حينه الصهيونيان المشهوران ارتور روبين ويعقوب تون .. كان يضع مع النازيين خطة ابادة اليهود الالمان المسنين والمعدمين ، وقد عاش نوسيغ حتى الثمانين من العمر "(٢٢).

وليس هذا فحسب ، بل ان العازر ليفنه الصهيوني البارز صرح عام ١٩٦٦ تعقيبا على الجرائم النازية" لو اننا نحن الصهيونيين رأينا مهمتنا الاساسية في انقاذ اكبر عدد من اليهود لتعين علينا في هذا الحال ان نتعاون مع الانصار ، وكانت قواعد الانصار قائمة في بولونيا وليتوانيا وفي المناطق التي احتلها النازيون من روسيا ، وفي يوغسلافيا وفيما بعد في سلوفاكيا والانصار ، لكنا انقذنا كثيرين "(٢٣).

ولم يعد سرا انه " في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٠ ، نسفت السفينة (باتريا) في مرفأ حيفا الفلسطيني ، فقتل ٥٠ رجلا من طاقم السفينة و ٢٠٢ من الركاب المهاجرين الى فلسطين ، ان

Digitized by Birzeit University Library

هؤلاء قد ماتوا في احد ملتقيات -متاه الاحداث المعقد دون ان يعرفوا قاتليهم ولا الدوافع الحقيقية للجريمة .. هذه المأساة سبقتها سلسلة كاملة من الاحداث ، وكانت اشبه بصورة لمناورة معقدة رسمتها الاوساط القائدة العليا في الكونسرسيوم الصهيوني ونفذتها بصورة منهاجية"(٢٤) . وبالاستناد الى ما كتبه جون ودافيد كيمشي اللذين صرحا بانه "لم يكن سرا على احد ان الهاجاناة هي التي نظمته "(٢٥) . اي انفجار السفينة "باتريا".

واكد ناحوم سكولوف في مقالته "تاريخ الصهيونية" قائلا " ان اعداء الصهيونية قد اكدوا ولا يزالون حتى الان بعناد كبير ، ان غاية الصهيونية انشاء دولة يهودية مستقلة ، ولكن هذا كذب يكذب فان الدولة اليهودية لم تكن هدف البرنامج الصهيوني " (٢٦) فهل بعد هذا سيظل هناك من يعتقد بارتباطات بين الصهيونية واليهود.

وعلى العموم ما لنا ولهذا اننا لا نحتاج لجهد لاثبات ان السياسة الصهيونية قبل قيام دولة اسرائيل وبعد قيام الدولة تثبت يوميا بانها موجهة ليس فقط ضد الشعب الفسطيني وليس فقط ضد الحركات الثورية في العالم ، وليس فقط ضد الدول الاشتراكية وانما ايضا ، ضد الشعب اليهودي نفسه ، ضد الاسرائيليين انفسهم ، ان سياستها الخارجية والداخلية لن تجلب الا الدمار على هذا الشعب الضحية بقدر ما شعبنا هو الاخر ضحية لها.

بالاضافة الى ذلك ، فان حركات التحرر القومي على الدوام قد ارتبط وجودها في العداء للاستعمار والامبريالية العالمية لاحقا ، وكان هذا هو المحك لثورية او تحررية اية حركة سياسية ، وهذا المحك يؤكد على ان الحركة الصهيونية منذ نشأتها وهي مرتبطة بمختلف الدول الاستعمارية في المانيا او بريطانيا او فرنسا او اميركا او روسيا القيصرية سابقا . ولعل ما تقوم به اليوم بتسخير اجهزة الدولة في اسرائيل واداراتها وجسمها كله في خدمة الامبريالية الاميركية لانصع دليل على ان الحركة الصهيونية لم تكن ولن تكون حركة تحرر قومي في يوم من الايام ، وانما هي حركة رجعية عنصرية وفاشية معادية للتقدم والسلام والامن في العالم .

اسباب ودوافع بريطانيا

باصدار وعد بلفور

وفي سياق الفصل الاول ايضا ، يتطرق المؤلف لوعد بلفور المشؤوم . وحتى في الموقف من وعد بلفور نرى تواصل المؤلف في انكبابه على تأريخ الوعي بدلا من تأريخ الواقع . بدلا من تأريخ النشاط الذي كان يُمارس ويفسر بموضوعية كل الحقائق المتعلقة بهذا الوعد .

المؤلف يقول " لكي نفهم الوقع الكامل الذي تركته هذه الوثيقة التاريخية المثيرة للجدل ، على العرب ، فمن المهم ان نبحث بايجاز خلفية هذه الوثيقة والدوافع الكامنة وراءها "(٣٩) . وهذا امر هام جدا ، ولكن ما هي الخلفية والدوافع التي تم عرضها وبأي نظام جرى تقديمها ؟؟

عرض المؤلف تفسيرات لكل من جورج انطونيوس وتفسير يليه لحاييم وايزمن واخر ليونارد شتاين بالتتابع.

التفسير الاول لانطونيوس بان " هناك اعتباران رئيسيان حملا الحكومة البريطانية على اصدار الوعد، احدهما سياسي : وهو كسب ود العناصر الصهيونية القوية في المانيا والنمسا ... والاعتبار

Digitized by Birzeit University Library

الثاني كان دافعا امبرياليا" ص ٣٩ ، ٤٠ من الكتاب .

ويتبع ذلك المؤلف بالقول :

"ولكن وايزمن قدم تعليلا مختلفا جدا لاصدار بريطانيا وعد بلفور .. قال وايزمن : ان الايحاء الذي يتردد كثيرا على مسامعنا من ان وعد بلفور صدر لاسباب امبريالية او غيرها من الاسباب الفجة ، انما هو ايحاء كاذب تماما ، اعتقد ان حقيقة واحدة ستثبت بطلان هذه الاسطورة، اذ عندما وافقت الحكومة البريطانية على اصدار وعد بلفور المشهور . وضعت لموافقها شرطا واحدا وهو : انه لا ينبغي ان تكون فلسطين عهدة لبريطانيا العظمى" ص ٤٠ من الكتاب

ويضيف المؤلف بنسق زمني صاعد :

"وقد اكد المؤلف الشامخ الذي وضعه ليونارد شتاين عن وعد بلفور ما ادعاه وايزمن ، وورد في هذا الكتاب بان الوعد لم يكن . عملا طائشا او عاطفيا قامت به الحكومة البريطانية . بل كان قرارا موزونا للسياسة البريطانية ، تم التوصل اليه ، بعد مشاورات كاملة مع الولايات المتحدة والدول الحليفة " ص ٤٠ من الكتاب.

واذا جاز لنا استعارة بعض المفاهيم من عالم الرياضة ، فقد قدم لنا المؤلف عرض لمباراة تفسيرية كانت نتيجتها نقطتين لصالح الطرف الاخر ونقطة لنا .

وذا استعنا بمفاهيم من "علم النفس" فقد جاء وايزمن وقام بامحاء ما عرضه جورج انطونيوس وكتب على اللوح وقائع اخرى ، ثم جاء " المؤلف الشامخ" (للتأكيد على عظمة الثقة بالقادم - م.م)ليؤكد ويضع خطا احمراتحت ما كتبه وايزمن ليكون اكثر بروزا وثباتا في الذهن

والحصيلة تبرئة الحكومة البريطانية من "تهمة" الدوافع الامبريالية ، وما يؤكد على هذا الاستخلاص ما ورد في مدخل الحديث عن وعد بلفور ، من ان استصداره يعود الى المزايا العظيمة الشخصية لحايم وايزمن ونفوذه وبخاصة في التفاوض مع بريطانيا حيث اوقع بها في هذا "الشرك" ودفعها الى اصداره ص ٣٨ ، ٣٩ .

ان القول بان حايم وايزمن بمزاياه الشخصية ونفوذه،استطاع تحقيق الفوز بالحصول على اتفاق بالوعد ، يتجاهل حقيقة ان الاهداف البريطانية،واستراتيجيتها في المنطقة،التي كانت قائمة قبل عقود طويلة من وجود الحركة الصهيونية نفسها، ولا حاجة بنا لايراد الكثير من الحجج ، اذ تكفي الاشارة الى انه في سنوات الحرب العالمية نفسهاوما" ان وضعت الحرب تركة الامبراطورية التركية على جدول الاعمال ، حتى تقدم هربرت صموئيل الذي اشترك في الوزارة البريطانية في هذه الفترة، وكان اول مندوب سامي بريطاني في فلسطين ، فيما بعد،بمشروع يقوم على ضم فلسطين الى الامبراطورية البريطانية وزرع ثلاثة او اربعة ملايين يهودي فيها وبذلك يتحقق حلف بين الفريقين يخدم مصالح بريطانيا " (٢٧) .

وكان اميل توما قد بين في عرض تاريخي علمي في كتابه جذور القضية الفلسطينية كيف ان الكولونيالية البريطانية كانت صهيونية قبل نشوء الحركة الصهيونية بحوالي نصف قرن (٢٨) ووصف محقا النظريات التي تعزو دوافع بريطانيا للاعلان عن وعد بلفور بانه يعود لاعترافها بافضال حايم وايزمن باكتشافه (لاسيتون الصناعي) بانها "نظريات سخيفة" (٢٩) تهدف الى تشويه التاريخ وبيّن ان بريطانيا قد "اخذت في عين الاعتبار ممكنات استخدام الصهيونية في

Digitized by Birzeit University Library

مواجهة حركة التحرر القومي العربية التي كانت قد بدأت تتبلور بوضوح وتتحول الى حركة ذات جذور بين الجماهير العربية في سوريا الطبيعية والعراق وغيرها"(٣٠).

وعلى اية حال فاني لا اعتقد ايضا بان خلفية اصدار الوعد ودوافع بريطانية بالقلة المذكورة في المؤلف التاريخي الجديد .

المراجع :

١) حذار من الصهيونية / يوري ايفانوف - ص٩/ دار التقدم - موسكو ١٩٧٠ .

٢) جذور القضية الفلسطينية / اميل توما - ص٢٢ / الطبعة الثالثة - القدس - ١٩٧٦ .

٣) نفس المصدر / ص٢٣ .

٤) نفس المصدر / ص٢٢ .

٥) حذار من الصهيونية / مرجع سابق ص٢٢ .

٦) نفس المصدر / ص٢٠ .

٧) نفس المصدر / ص١٧و١٨ .

٨) نفس المصدر / ص١٥ .

٩) جذور القضية الفلسطينية / مرجع سابق ص٢١ .

١٠) حذار من الصهيونية / مرجع سابق ص١٧ .

١١) نفس المصدر / ص٢٠ .

١٢) نفس المصدر / ص٢٦ .

١٣) نفس المصدر / ص٣٥ .

١٤) نفس المصدر / ص ٢٧ و٢٨ .

١٥) نفس المصدر / ص٢٨ .

١٦) جذور القضية الفلسطينية / مرجع سابق ص٢٤ .

١٧) دراسات في الصهيونية / ماير فلنر - تمار جوجانسكي - وولف ايرلخ / ص١٠٤ / منشورات صلاح الدين - القدس ١٩٧٦ .

١٨) نفس المصدر / ص١٠٤ .

١٩) نفس المصدر / ص١٠٧ .

٢٠) نفس المصدر / ص ١٠٧ و١٠٨ .

٢١) جذور القضية الفلسطينية / مرجع سابق ص٤٤ .

٢٢) حذار من الصهيونية / مرجع سابق ص١٠٧ .

٢٣) نفس المصدر / ص١١٠ .

٢٤) نفس المصدر / ص١١١ .

٢٥) نفس المصدر / ص١١٦ .

٢٦) نفس المصدر / ص٧٥ .

٢٧) جذور القضية الفلسطينية / مرجع سابق ص٧٩ .

٢٨) نفس المصدر / راجع الصفحات ٥ - ١٦ .

٢٩) نفس المصدر / ص٨٢ .

٣٠) نفس المصدر / ص٨٣ .

Digitized by Birzeit University Library

انهيار سوق الاوراق المالية ونجاح قمة واشنطن ، فشل للريغينية

سمير البرغوثي

شهد سوق نيويورك المالي في ليلة ٢٨ اكتوبر عام ١٩٢٨ انهيارا كبيرا في اسعار الاسهم والسندات والاوراق المالية. تبعه انهيارات مماثلة في المراكز المالية العالمية الاخرى. وكانت هذه الانهيارات بداية ولوج الاقتصاد الرأسمالي العالمي في ازمة اقتصادية خانقة . حيث تراجع حجم الانتاج الصناعي الى اكثر من النصف . وتجاوزت نسبة البطالة ٤٠٪ ، وكعادتها في الازمات فقد كشفت الرأسمالية عن انيابها الحادة ، وعن جوهرها البشع . فاشعلت الحرب العالمية الثانية واجبرت البشرية ان تقدم ٥٠ مليون قتيل قربانا للازمة الاقتصادية مقابل الخروج منها ، عدا عن الدمار في الممتلكات والثروات الاجتماعية.

وبما ان الرأسمالية تتغذى على مآسي البشرية فقد شكلت الحرب العالمية الثانية حافزا لاعادة نمو الاقتصاد الرأسمالي العالمي. فعملية اعادة البناء والتعمير. خلقت حوافز للنمو الاقتصادي . من حيث تزايد نسبة الاستثمار والتوظيف، والتجارة الداخلية والدولية ، وتطلبت مرحلة اعادة البناء الواسعة تدخل اكبر من قبل الدولة في الاقتصاد . الامر الذي سارع في زيادة الاستثمار وتوسع الطلب. وكان الاقتصاد الامريكي هو المستفيد الاكبر من النمو الاقتصادي ما بعد الحرب. لبعده عن ساحة العمليات بالدرجة الاولى . فاقرت الحكومة الامريكية برنامج اقراض البلدان الاوروبية المسمى بخطة مارشال (تقدر حجم المبلغ ٢٤ مليار دولار) وذلك بهدف تنشيط الاسواق الاوروبية امام المنتوجات الامريكية . الامر الذي دفع وتائر الانتاج الصناعي الامريكي الى الامام بحيث اصبحت حصة الولايات المتحدة من انتاج العشر دول الصناعية الاولى ٦٢٪ عام ١٩٥٠ . وشكلت الصادرات الامريكية ٣٠٪ من مجموع الصادرات العالمية عام ١٩٥٣ . وعكس النفوذ الاقتصادي والسياسي الامريكي المتنامي نفسه على وضع الدولار الامريكي الذي اصبح سيد المعاملات المالية والتجارية العالمية اوثبت في معاهدة بريتون وودز كعملة عالمية على علاقة ثابتة بالذهب.

ومع ان الاقتصاد الرأسمالي العالمي بشكل عام والامريكي بشكل خاص ، شهد ازدهارا ملحوظا في

Digitized by Birzeit University Library

سنوات ما بعد الحرب الثانية . الا ان ذلك لم يمنع سريان القوانين الموضوعية ذات الصلة بتفاقم الازمة العامة للرأسمالية . فاخذت هيمنة الرأسمالية على الكرة الارضية تنحسر بتزايد نفوذ المعسكر الاشتراكي الجغرافي والسياسي والاقتصادي والعسكري. وبدأت الكثير من البلدان المستقلة حديثا تنتهج سياسة معادية للرأسمالية العالمية. وحققت حركات التحرر انتصارات ملموسة خاصة في الشرق الاوسط وجنوب شرق اسيا. وفي داخل البلدان الرأسمالية نفسها اعطت الحركات والاضرابات النقابية ثمارها بتوقيع اتفاقيات عمل تكفل حدا ادنى للاجور ومكاسب ملموسة اخرى للطبقة العاملة.

ان تفاقم الازمة العامة للرأسمالية عكس نفسه ، في ازمات اقتصادية متكررة في الاقتصاد الامريكي. ففي محاولة بائسة للحد من تعاظم المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر اعلنت الولايات المتحدة الحرب الباردة. وكان اهم ركائزها اطلاق العنان لسياسة التسلح والانفاق العسكري. وتشير الاحصائيات ان الانفاق العسكري الامريكي بلغ عام ١٩٥٠ ٥ر٦٤ مليار دولار قفز الى ٥ر١٦٥ مليار دولار عام ١٩٦٠ والى ٣ر٢١٥ مليار عام ١٩٧٠ (باسعار عام ١٩٨٥) (١) واماعنا في سياسة الحرب الباردة. دخلت الولايات المتحدة الحرب في فيتنام وقدرت تكاليفها ب ٨٠٠ مليون دولار شهريا(٢).

ان زيادة الانفاق العسكري وهيمنة المدرسة الكنزية في ادارة الاقتصاد قاد الحكومة الامريكية الى تمويل التسلح عن طريق عجز الموازنة وهكذا في منتصف الستينات بدأ الفائض في الموازنة يتحول الى عجز ، فبينما كانت الموازنة تتمتع بفائض عام ١٩٦٥ مقداره نصف مليار دولار وصل العجز عام ١٩٦٧ الى ٢ر١٣ مليار دولار.

ومن جانب اخر ، لجأت الاحتكارات العملاقة في محاولة لرفع معدل ارباحها ، الى التحايل على اتفاقات العمل الجماعية . بواسطة رفع الاسعار بمعدلات اعلى من ارتفاع الاجور ، الامر الذي ادى الى انخفاض في الاجور الحقيقية والافقار النسبي للطبقة العاملة جراء ذلك حيث تناقصت حصة الاجور بصورة مضطردة من الدخل السنوي ، وارتفعت بمعدلات اقل من معدلات نمو الدخل القومي

ان عجز الموازنة ، وارتفاع الاسعار اوجد مرض التضخم المزمن في الاقتصاد الامريكي. وبالطبع رافق التضخم تزايد في نسبة البطالة ، وافلاس الكثير من الشركات والمؤسسات في الصناعات المدنية. وبدأت معدلات النمو بالتراجع. فقد تراجع معدل نمو الناتج القومي الاجمالي GNP الى ٣ر٢٪ في الفترة ما بين ١٩٧٤ - ١٩٨٥ بعد ان كان ٦ر٣٪ للفترة بين ١٩٥١ - ١٩٧٣ ، وتراجع معدل نمو الانتاجية الى ٤ر.٪ بعد ان كانت ٦ر٢٪ لنفس الفترات . واخذ معدل نمو الناتج الاجمالي Total Output في القطاع الصناعي يتراجع من ٦ر٣٪ عام ١٩٦٥ الى ٨ر١٪ عام ١٩٧٤ .(٣)

وترافقت الازمات الدورية الداخلية للاقتصاد الامريكي مع تقدم المراكز الرأسمالية الاخرى (اوروبا واليابان) في استعادة نفوذها في الاقتصاد الرأسمالي. والنضال ضد الهيمنة الامريكية على هذا الاقتصاد وقد ساعدها في ذلك . النفقات النسبية الاقل في قضايا التسليح والعسكرة وقد حققت نجاحات لا يستهان بها.

ففي الوقت الذي تراجعت فيه الاستثمارات الامريكية في الخارج من ٥ر٥٤٪ من حجم الاستثمارات الخارجية الكلية عام ١٩٦٠ الى ٩ر٤٨٪ عام ١٩٧٣ ارتفعت استثمارات اوروبا

Digitized by Birzeit University Library

الغربية من ٨ر٣٦٪ الى ٠ر٤١٪ واستثمارات اليابان من ٥ر٠٪ الى ٠ر٥٪ . وتراجعت حصة الولايات المتحدة في الانتاج الصناعي للدول غيرالاشتراكية من ٦ر٣٩٪ عام ١٩٦٠ الى ٦ر٣٥٪ عام ١٩٧٥ بينما تزايدت حصة السوق الاوروبية المشتركة واليابان من ٨ر٣٢٪ الى ٣ر٣٧٪ ومن ٨ر٦٪ الى ٦ر١٣٪ لنفس الفترة على التوالي. وفي التجارة الدولية انخفضت حصة الولايات المتحدة من ٢ر١٨ من اجمالي التجارة الدولية في نطاق النظام الرأسمالي الى ٥ر١٣٪ لنفس الفترة بينما تزايدت حصة السوق المشتركة واليابان من ٧ر٢٦٪ الى ٥ر٣٧٪ ومن ٥ر٣٪ الى ٢ر٧٪ لنفس الفترة على التوالي.(٤)

وقد عسكت التغيرات الجديدة في موازين القوى نفسها على النظام النقدي العالمي. ففي بداية السبعينات انهار نظام بريتون - وودز. واقيم مكانه نظام جامايكا القائم بجوهره على حرمان الدولار الامريكي من دوره الاحتكاري في السوق النقدي.

ان النكسات التي واجهتها الولايات المتحدة الامريكية منذ منتصف الستينات على الصعيد الاقتصادي الداخلي. وعلى صعيد المنافسة مع المراكز الرأسمالية الاخرى. وعلى الصعيد السياسي في فشلها من اعاقة مد حركات التحرر الوطني. وهزيمتها الحرب الفيتنامية وعدم قدرتها اجهاض الثورة الكوبية او تصفيتها. وتراجعها امام الانجازات التي حققها النظام الاشتراكي سواء في مجال الفضاء الخارجي او التوازن العسكري. والتطور الاقتصادي. ادت بنهاية المطاف الى زعزعة مكانة الولايات المتحدة المهيمنة التي اكتسبتها بعد الحرب العالمية الثانية . ان هذا الوضع خلق ازمات اجتماعية بارزة في داخل الولايات المتحدة حيث تراجعت الثقة بالعظمة الامريكية التي غذتها الرأسمالية لدى المواطن العادي وازداد الانحلال الاجتماعي والخلقي وتزايد انتشار المخدرات وانحلال العائلة ، والاباحية الجنسية وولدت هزيمة فيتنام عقدة الضعف ، المرادفة لشعور العظمة برجوازية المنشأ كما ان تردي احوال الفئات الوسطى والكادحة نتيجة تفاقم التضخم والبطالة. افقد الثقة بالسياسات الاقتصادية لحكومات الديموقراطيين المتعاقبة المستوحاة من المدرسة الكنزية.

ان الازمة الاجتماعية الاقتصادية عززت مواقع اتجاهين معارضين للسياسة الداخلية والخارجية السائدة انذاك اولهما الاتجاه الديموقراطي ذو التأثير المتواضع والذي جسد اطروحاته في الحركات المعادية للحرب الفيتنامية والحرب الباردة. والاتجاه اليميني المحافظ ذو العلاقة الوطيدة بالمجمع العسكري الصناعي الداعي لاعادة "الهيبة الامريكية" والثقة "بامريكا العظمى" في الساحة السياسية والاقتصادية العالمية ، وقد نجح هذا التيار في ايصال ممثليه الى السلطة بانتخاب رونالد ريغان رئيسا للولايات المتحدة في عام ١٩٨٠.

ولم تكن فرصة ريغان بالوصول الى السلطة نابعة من ماضيه كممثل او للذاعة لسانه او تعليقاته الساخرة . او لكثرة ظهوره مع زوجته كدليل لاحترامه المرأة. كما تصور ذلك سيكولوجيا الدعاية السياسية البرجوازية . وانما بالاساس لانه يدافع عن ايديولجية تيار تعكس مصالح اكثر فئات رأسمال والبرجوازية عدوانية وشراسة. وكان قد ثبت تاريخيا ان نفوذ هذه الفئات يتزايد في المناخ السياسي والايديولوجي والثقافي العام بتفاقم الازمة العامة للرأسمالية والازمات الاقتصادية الدورية المتعاقبة. خاصة في ظل تواضع نفوذ القوى الديموقراطية التقدمية.

ان ايديولوجية التيار اليميني المحافظ في الولايات المتحدة . هي الاكثر قرب الى مفاهيم الفاشية . فهي ترتكز بالاساس على استخدام عنصر القوة في حل [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

والداخلية . وتستخدم الديماغوجية لاستنهاض نعرات الشوفينية والعظمة لحشد التأييد . ولتوضيح منهج هذا التيار في فهم المسائل المتعددة وكيفية التعامل معها. نرى من الضروري الاشارة الى الوثيقة التي تقدمت بها جين كيركباتريك مندوبة الولايات المتحدة السابقة في الامم المتحدة امام مؤتمر "المحافظين للعمل السياسي" وهو نادي خاص يضم اقطاب اليمين المحافظ وذلك في شباط ١٩٨٢ اي بعد عامين من انتخاب رونالد ريغان واعتبرت الوثيقة احدى الخطوط العامة للسياسة الخارجية فيما يخص البلدان النامية.

تقول كيركباتريك في وثيقتها "ان استعمال القوة جزء لا يتجزأ من عملية صنع التاريخ.. وفيما عدا الحرب الذرية فان واجبنا ان لا نخاف من ممارسةالقوة لحماية المصالح الامريكية والقيام بالعمل الحاسم اذا ما اقتنعنا ان لا مناص منه وانه يحمي مصلحة حيوية وعلينا ان لا نلقي بالا لاعتراضات حلفائنا الاوروبيين او دول العالم الثالث" وفي موقع اخر من الوثيقة "نضيف "لا بد لنا ان نقيم وان نثبت تفوقنا سياسيا وعسكريا في مناطق استراتيجية متناثرة هي البحر الكاريبي والبحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي وما يتبعه اي الخليج الفارسي ثم البحر الاحمر ثم على كل موارد المواد الخام التي نرى انها ضرورية ولا غنى عنها بالنسبة لنا " وعن العلاقة مع المعسكر الاشتراكي والتي في ضوءها يتحدد المناخ الدولي توضح " وقد ثبت لنا وللجميع ان سياسة الوفاق الدولي التي سارت عليها ادارات الحكومة الامريكية السابقة انتهت الى ان تصبح لعبة في ايدي السوفييت ودول الكتلة الشيوعية..." في موقع اخر تشير ال .."ولا يمكننا لهذا ان نسكت ولا بد من مواجهة لهذه التطورات ، وتبدأ بنقض سياسة الوفاق وان نلقي بها تماما وراء ظهورنا ، ولا بد ان نستبدلها بسياسة اكثر حزما تدعمها بمشاريع اقتصادية واسعة ، وتؤدي الى اقامة وجود امريكي ثابت الاركان في العالم الثالث"(٥).

ان الايديولوجية القائمة على استخدام القوة والسياسة المرتكزةعلى توتير الاجواء الدولية ، وفرض "امريكا العظمى" ذات السلطة المطلقة في الشؤون العالمية ، تقتضي وجود سياسة اقتصادية تتحكم بعمل الاليات الاقتصادية لصالح التسلح والانفاق العسكري. ولكن هذا الوجه الاول لى من للمسألة اما الوجه المكمل الاخر فهو ان الانفاق العسكري يكرس مطامح رأس المال العامل في الانتاج الحربي بزيادة وتائر الربح وهذا الاخير يرى في ايديولوجية "القوة " الطريق الامثل في دفع الانفاق العسكري للامام. بمعنى اخر ان ايديولوجية القوة وسياسة الانفاق العسكري تتجسدان في السياسة الخارجية والسياسة الاقتصادية لجسم واحد هو المجمع الصناعي العسكري الذي اوصل ريغان الى السلطة.

الاقتصاد الريغني:

لقد كانت هناك مجموعة من العوامل والاعتبارات تقف خلف بلورة السياسة الاقتصادية لعهد ريغان ، اولهما ان ادارة ريغان اكثر الادارات الامريكية ارتباطا بمصالح المجمع العسكري - الصناعي ان لم تكن صنيعته مباشرة. ثانيهما ان عسكرة الاقتصاد تمثل الالية الاقتصادية لايديولوجيا اليمين المحافظ في محاولته البائسة للخروج من الازمة العامة للرأسمالية عن طريق استخدام القوة . وثالثهما ان هذه الادارة جاءت في اعقاب الازمة الدورية التي اجتاحت الاقتصاد الرأسمالي العالمي (٧٣ ـ ١٩٧٤). وفشل السياسة الكنزية في معالجة هذه الازمة. ومع ان المنظرين

Digitized by Birzeit University Library

الاقتصاديين لادارة ريغان. اعلنوا بوضوح هجومهم على السياسة الكنزية التي انتهجها الديموقراطيون. وحملوها مسؤولية العجز في الموازنة. وكبت المبادرة الخاصة وعدم تحفيز الاستثمار . واعلنوا انحيازهم للمدرسة الليبرالية النقدية حيث يعتبر الاقتصادي الامريكي ملتون فريدمان احد مؤسسيها. الا ان السياسة الاقتصادية التي انتهجتها ادارة ريغان كانت في الواقع العملي مزيج من السياسة الكنزية والسياسة الليبرالية. وكان المقصود من استخدام هذا المزيج الارتقاء بالاليات الاقتصادية لتلبية احتياجات عسكرة الاقتصاد بدون هزات عنيفة. لقد اقر منظري ادارة ريغان ان تستمر الدولة في زيادة الانفاق العسكري عن طريق موازنتها . وكانوا يرون ان هذا الانفاق الحكومي ضروري لتوسيع الاستثمار في الانتاج العسكري. القادر بدوره على خلق طلب على الايدي العاملة. وتحفيز تطور التكنولوجيا المعقدة مما يعود بالفائدة على فروع الاقتصاد ككل. بالمقابل فان الحد من تدخل الدولة في فروع الاقتصاد الاخرى كفيل بنظرهم في حفز الاستثمار الخاص القادر على معادلة العجز في الموازنة الناجم عن تزايد الانفاق العسكري. بدلا من اللجوء للادوات التضخمية في معالجة العجز وهذا التوجه في الاجراءات الاقتصادية يتمثل بان تقوم الحكومة بتخفيض معدلات الضرائب. الامر الذي يحفز نمو الاستثمار الخاص. وبالتالي الناتج القومي والدخل الوطني. وهذا النمو يخلق طلبا على الايدي العاملة. ويضمن تشغيلا كاملا. وبالنتيجة فان موازنة الحكومة تتحرر من التزامات الضمان الاجتماعي وتعويضات البطالة .

وحتى يتم التشغيل الكامل من الضروري التحلل من اتفاقيات الحد الادنى للاجور وترك الاجور تحدد وفق حالة العرض والطلب على الايدي العاملة (المقصود تهميش دور النقابات العمالية. والهجوم على اتفاقات العمل التي حققتها الطبقة العاملة كمكاسب بعد نضالات اضرابية شاقة). وكلا الاتجاهين تقليص الاتفاق الاجتماعي وزيادة القيمة الاجمالية للضرائب (الحديث عن مجموع الضرائب وليس عن معدل الضريبة) بالاضافة لسحب مدخرات الجمهور والاقتراض منها عن طريق رفع سعر الفائدة. كفيلين برأي اقتصادي اداره ريغان تجاوز عجز الموازنة بدون المظاهر التضخمية، اي ان الاقتصاد الريغني حاول الجمع بين طرفي نقيض وهما زيادة الانفاق العسكري من جهة وتحقيق النمو الاقتصادي من جهة اخرى بمعنى اخر تحقيق الشعار الريغني المشهور "امريكا الحرة القوية المزدهرة".

بوحي هذه السياسة الاقتصادية اطلقت ادارة ريغان العنان للانفاق العسكري. واخذ يتزايد بوتائر سريعة. فقد بلغت موازنة الدفاع ١٤٣ مليار دولار لعام ١٩٨٠ (عام استلام ريغان السلطة) وصلت عام ١٩٨٧ ٣٠٠ مليار دولار. اي بنسبة نمو تتجاوز ١٠٩٪. وقد شكل الانفاق العسكري للبنتاغون ٥ر٦٪ من الناتج القومي الاجمالي عام ١٩٨٦ بينما شكل ٥ر٥٪ عام ١٩٧٦ . واخذت الادارة الامريكية بهدف رفع مستوى الانتاج العسكري تخصيص موارد كبيرة للبحث والتطوير في هذا المجال ففي عام ١٩٨٥ خصصت ١٥ مليار دولار للابحاث العسكرية وفي عام ١٩٨٥ وصل هذا المبلغ الى ٣٥ مليار. اي ٧٠٪ من مجموع المبلغ المخصص للابحاث والتطوير لفروع الاقتصاد المحلي ككل(٦) واجمالا لهذا التوجه العسكري فقد تعهد ريغان بانجاز بناء عسكري شامل للولايات المتحدة تتراوح تكاليفه من ٢ - ٥ تريليون دولار بما في ذلك مشروع حرب النجوم. وقد انفقت ادارة ريغان من هذه الخطة ٥ر١ تريليون دولار للفترة بين ٨١ - ٨٦ (٧).

Digitized by Birzeit University Library

ومع تنامي الانفاق العسكري فان الادوات الاقتصادية الاخرى التي عول عليها لتلافي عجز الموازنة الناجم عن الانفاق العسكري لم تعط ثمارهافالعتمة لم تأتي بحجم يد الحرامي كما يقال- فتخفيض الضرائب بهدف تنشيط الاستثمار ورفع معدل الفائدة بهدف سحب مدخرات الجمهور. كانا يسيران باتجاهان متعاكسان . فارتفاع سعر الفائدة . قاد الى ارتفاع في قيمة الدولار الامريكي بوتائر لم يشهدها منذ الحرب العالمية الثانية. فحتى عام ١٩٨٥ كانت قيمة الدولار بالمقارنة الى العملات الاخرى قد زادت بمقدار ٨١٪ (٨) وهذا الامر ادى الى خلل كبير في ظروف التبادل التجاري الامريكي مع الخارج. حيث اخذت الواردات تتزايدبنسب تفوق نسب زيادة الصادرات لتخلق عجز في الميزان التجاري يصل الى ١٧٠ مليار دولار عام ١٩٨٧ . واخذت الزراعة والصناعة المدنية تعاني من مشاكل تدفعها الى الافلاس. جراء ارتفاع العملة الامريكية وصعوبة التصدير. ففي عام ١٩٨٥ فقد المزارعون الامريكيون صفقات زراعية في الخارج بمقدار ٦ مليار دولار وانخفضت الصادرات الزراعيةبنسبة٢ر٢٠٪. وفي الصناعة فقد اعلنت العديد من الشركات افلاسها نتيجة عدم قدرتها على المنافسة مع المنتوجات الاجنبية . وعليه فقد فقدت الولايات المتحدة ٣ ملايين فرصة عمل حتى عام ١٩٨٥ كانت تعتمد على الصناعات التصديرية (٩).

ومما فاقم الوضع التنافسي الصعب للصناعات المدنية الامريكية في السوق العالمي. حقيقة ان البلدان المنافسة للولايات المتحدة الامريكية (اوروبا الغربية واليابان) كانت تنفق معدلات استثمار اكثر في تطوير صناعاتها المدنية في الوقت الذي وجه فيه الاقتصاد الامريكي استثماراته نحو الصناعات العسكرية. لقد ادى سعر الفائدة المرتفع الى عجز في الميزان التجاري بلغ ١٧٠ مليار دولار لعام ١٩٨٧ . كما قاد الى تراجع في معدلات النمو الاجمالية لتتراوح بين ٥ر٢ - ٣ للفترة من ١٩٨٤ - ١٩٨٧ وكانت النتيجة انخفاض عائدات الموازنة من الضرائب على عكس ما خطط له اقتصادي ادارة ريغان. ومع ذلك فان هذا الوضع لم يثني ادارة ريغان عن المضي في الانفاق العسكري وذلك لسببين :

اولهما : ان هذه الادارة على خلفية ايديولوجيتها المحافظة كانت تطمح باحراز تفوق استراتيجي عسكري على الاتحاد السوفييتي والتحايل على القوانين الموضوعية التي تفاقم الازمة العامة للرأسمالية باستخدام القوة.

وثانيهما : ان الانفاق الحكومي العسكري**هو الوسيلة**الوحيدة لمجاراة جشع اقطاب المجمع الصناعي العسكري الذي اوصل هذه الادارة للسلطة نحو الربح المتعاظم . وتجدر الاشارة ان الطلبيات العسكرية الحكومية هي المصدر الكفيل بخلق الاستثمار الاكثر ربحا في المجال العسكري بالمقارنة مع المجال المدني. وتشير الاحصائيات ان ربح الدولار المستثمر في الصناعات العسكرية يفوق بمقدار ٧٠٪ ربح الدولار الموظف في الصناعات الاستهلاكية. وفي عام ١٩٨٧ حققت العقود العسكرية ربحا يفوق ب ٥٦٪ ارباح العقود المدنية (١٠).

لقد قاد الاستمرار في نمو الانفاق العسكري في ظل تضاءل موارد الدولة الاخرى الحكومة الامريكية الى الافتراض لسد العجز في الموازنة الامريكية . فبدأت باستخدام رؤوس الاموال الاجنبية التي جذبها سعر الفائدة المرتفع . وتقدر رؤوس الاموال التي دخلت الولايات حتى عام ١٩٨٥ بمئات مليارات الدولارات . وبهذا اخذت الولايات المتحدة الامريكية منذ عام ١٩٨٥ لاول مرة في تاريخها تتحول من دولة دائنة الى دولة مدينة . فقد استقرضت الحكومة الامريكية

Digitized by Birzeit University Library

من رؤوس الاموال الاجنبية للفترة من عام ١٩٨٢ - ١٩٨٦ ٤٠٠ مليار دولار (١١).

ويقدر الان حجم الدين الحكومي العام (الدين الخارجي + الداخلي) ٢ تريليون دولار واصبح يتوجب على الولايات المتحدة ان تدفع ١٠٠ مليار دولار فوائد ديون وهذا يعادل ٥ر٢٪ من الناتج القومي الاجمالي.

ان الخلل في الميزان التجاري وتزايد خدمة الدين افرزا عجزا في ميزان المدفوعات بلغ ٢٢٢ مليار دولار لعام ١٩٨٧.

بالاضافة الى هذه الاوضاع فان السياسة الليبرالية الاقتصادية . لم تستطع تحقيق التشغيل الكامل كما كانت تروج. وذلك لتراجع حجم الاستثمار ومعدلات النمو لاسباب ذكرت سابقا. وبهذا فعلى العكس من ادعاءاتها بانها تهدف للقضاء على البطالة التي تقف من ورائها السياسة الكنزية . فقد فاقمتها باضعاف. وتشير الاحصائيات ان معدل البطالة بلغ ٨ر٦٪ لاعوام من ٧٦ - ٨٠ قفز الى ٩٪ لاعوام ٨١ - ٨٣ ووصل ٦ر٩٪ عام ١٩٨٦ . وجاء تفاقم البطالة في الوقت الذي انتهجت فيه الادارة الامريكية سياسة تقليص الانفاق على الخدمات الاجتماعية تمشيا للتوجهات الليبرالية حيث لم يحصل اكثر من ٢٣٪ من العاطلين عن العمل على اعانات بطالة عام ١٩٨٦ (١٢).

وبالمحصلة النهائية فقد وجدت الولايات المتحدة الامريكية نفسها بعد ٧ سنوات من حكم ادارة ريغان امام انفاق عسكري متزايد ، عجز في الميزان التجاري ، عجز في ميزان المدفوعات والموازنة الفيدرالية ، تباطؤ في معدلات النمو ، وتنامي في معدلات البطالة . بمعنى اخر اقتصاد سائر باتجاه ازمة لا يمكن التكهن بابعادها. ولتلافي هذا الوضع لجأت الادارة الامريكية الى سياسة اصلاح لهذا الوضع المتردي . فعمدت الى معالجة العجز في الميزان التجاري عن طريق الاجراءات الحمائية من جهة وعن طريق تخفيض الدولار الامريكي من جهة اخرى . الا ان السياسة الاقتصادية الامريكية ليس اللاعب الوحيد في الاقتصاد العالمي حيث يتميز بدرجة عالية من الترابط والتأثير المتبادل فخفض قيمة الدولار اثار حفيظة بلدان اوروبا الغربية التي رأت في هذا الاجراء محاولة امريكية لتجاوز الوضع المتردي في الاقتصاد الامريكي على حسابها. ورأت اليابان في الاجراءات الحمائية خطوةاداريةقسرية موجهة ضد الصناعة اليابانية . الامر الذي زاد من حدة التناقضات بين المراكز الرأسمالية الثلاث الى درجة مستعصية بحيث فشل مؤتمر البندقية للدول الصناعية الذي انعقد في تموز ١٩٨٧ في ايجاد حلول ترضي الجميع . وتركت الامور الاقتصادية الهامة عائمة بدون حل. واخذ الدولار بالانخفاض التدريجي. وهددت المانيا الغربية بالمقابل برفع سعر الفائدة لجذب رؤوس الاموال. واخذت الثقة تتزعزع لدى المستثمرين باستقرار النظام النقدي العالمي. المستند على الدولار الامريكي . وخاصة لدى هؤلاء الذين حولوا اموالهم للدولار الامريكي . واستثمروها في المضاربات في بورصة نيويورك . واخيرا كان انهيار وول ستريت يوم الاثنين الدامي في اكتوبر من عام ١٩٨٧ ليمتد اللهيب الى بقية بورصات العالم الرأسمالي الكبرى في طوكيو وفرانكفورت وهونغ كونغ ولندن وباريس وسدني.

لقد كان حجم الانهيار كبيرا ، وبلغت الخسائر في قيمة الاسهم والسندات المتداولة ارقاما فلكية. فقد فقدت الاسهم ٢ تريليون دولار من قيمتها . في جميع الاسواق ، اما في سوق نيويورك فقد تعدت الخسائر النصف (تريليون دولار) . ومما اعطى حجم الانهيار زخما هو ان قيمة الاسهم المتداولة كانت تفوق بكثير قيمتها الحقيقية [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

الاموال الاجنبية المهاجرة للولايات المتحدة-نظرا لارتفاع سعر الفائدة- اتجهت للاستثمار والمضاربة في البورصة في الوقت الذي كانت فيه تتدنى معدلات نمو القطاعات الانتاجية الامريكية. والانهيار السريع جاء لحقيقة ان قلة من المستثمرين يتحكمون في مجرى عمليات البورصة . وقرار هذه القلة ذو تأثير بارز على البورصة. فقد اشارت النتائج الاولية للجنة التي تشكلت بقرار من الرئيس الامريكي لدراسة اسباب انهيار البورصة ان بداية الانهيار جاء اثر بيع ٦.٤ مليون سهم بقيمة ٢١ مليار دولار ليلة ١٩ اكتوبر. وهذه الاسهم كانت تتمركز بأيدي عدد محدود من المؤسسات وجاء في التقرير ان ٤ من البائعين سيطروا على ١٤٪ من مجمل القيمة المباعة لهذه الليلة ، وان اكبر ١٥ مستثمرا باعوا ٢٠٪ من قيمة الاسهم المباعة (١٣) . ان قرار هؤلاء المستثمرين الذي احدث بداية الانهيار بالطبع لم يكن خاضعا لاعتبارات مزاجية وانما تتويجا للعوامل طويلة الامد التي قادت لهذا الوضع.

ويحاول الاقتصاديون البرجوازيون ، تجاهل الاسباب الحقيقية وراءانهيار سوق الاوراق المالية. لان المتهم الاساسي هو طبيعة النظام الرأسمالي العالمي بشكل عام واتجاه عسكرة هذا الاقتصاد بشكل خاص. فقد لجأ البعض لتفسيرات فنية وادارية سطحية لا تمس جوهر الموضوع بصلة . فقد حمل بعضهم استخدام الكمبيوتر في عمليات البورصة مسؤولية ما حدث. اذ توصلت لجنة دراسة الانهيار (م١٤) ان الكمبيوتر كان عامل من عوامل الانهيار. وهذا الاستنتاج السطحي لا يصمد اما الحقائق الموضوعية . فالكمبيوتر كان مستخدما قبل انهيار ١٩ اكتوبر بسنوات عديدة. كما ان الكمبيوتر لم يكن موجودا اصلا عند حدوث انهيار عام ١٩٢٩ ، ومع ان اللجنة توصلت الى استنتاجات اخرى قريبة للواقع كتحميل العجز التجاري وعجز الموازنة الامريكية مسؤولية ما حدث الا انها لم تذهب بعيدا الى ما وراء هذا العجز ومسبباته.

ومهما تكن الاجتهادات في تفسير ما حدث الا ان هناك شبه اجماع لدى مختلف المدارس الاقتصادية . ان انهيار البورصة ما هو الا اشارة ولوج الاقتصاد الامريكي والرأسمالي العالمي في حالة ركود عميقة . ويعتقد الكثير من الخبراء ان عام ٨٨ او ٨٩ بالكثير سيشهدبداية هذا الركود. وقد بدأت الملامح الاولية للازمة الاقتصادية تظهر من خلال تزعزع النظام النقدي العالمي. نتيجة الانهيارات المتتالية في سعر صرف الدولار الامريكي. رغم تدخل البنوك المركزية في مختلف البلدان الرأسمالية.

ان الازمة القادمة في الاقتصاد الرأسمالي ستكون حتما مركب مجموع ازمات عالمية متشابكة ستتفاقم في ان واحد ، الازمة الدورية او الركود الاقتصادي في البلدان الرأسمالية الصناعية وما يتبعها من ازمة بطالة ، وانكماش في الانتاج وافلاس العديد من البنوك والشركات ، الازمة الناتجة عن التناقضات المستعصية بين المراكز الرأسمالية ، ازمة النظام النقدي العالمي ، ازمة مديونية البلدان النامية وازمة المجاعة . ان هذه الازمات التي ستتفاقم معا ورغم قسوتها على مليارات البشر ستقود لا محالة الى تغيرات في الخارطة السياسية الدولية وستفرز واقعا دوليا جديدا لن يكون بكل تأكيد في صالح نهج "العربدة" الكونية لادارة ريغان ومن ترعرع عليه في مناطق عديدة من العالم .

وما اضطرار ادارة ريغان مجبرة بعد انهيار البورصة ، وكثافة المبادرات السوفييتية التوقيع على معاهدة قمة واشنطن مع الزعيم السوفييتي بخصوص الاسلحة قصيرة ومتوسطة المدى الا دليل على ان القوانين الموضوعية لتطور التاريخ العالمي لا تسمح بان يكون ريغان وادارته

Digitized by Birzeit University Library

الممثلين الوحيدين في مسرح الاحداث العالمي ، تماما كما لا يمكن ان تكون وثيقة كيركباتريك سيناريو هذا المسرح.

الهوامش

1) The military Industrial Complex New Times 1988

٢) هذا الرقم الرسمي المعلن ، ولكن يقدر بعض الخبراء ان التكاليف كانت ٢ مليار دولار شهريا.

3) International Montary Fund, World Economic And Financial Surverys August 1987

٤) الصراع في مثلث القوى ، قضايا السلم والاشتراكية عدد ٢ شباط ١٩٨٤

٥) نشرت الوثيقة في الصحافة الامريكية عام ١٩٨٣ واعادت نشرها مجلة الموقف العربي في عددها ٦٦ اكتوبر ١٩٨٥.

6) Ann Markusen. The Militarized Economy, World Policy Journal Summer 1988

7) Sbemle R. Schwenninger and Jerry W. Sanders. The Democratic and a New Grand Strategy . Ibid

8) New York Times November 1 1987

٩) اليسار العربي ايار ١٩٨٥.

10) New Times No 6. 1986

11) Ibid 7.

١٢) دانييل روبين - التأميم في الولايات المتحدة الامكانيات والتحديات. قضايا السلم والاشتراكية تموز ١٩٨٧.

13) The Jerusalem Post . January 10,1988

١٤) المصدر السابق نفسه.

Digitized by Birzeit University Library

حركة عدم الانحياز في النضال من اجل الاستقلال وضد الامبريالية وفي سبيل السلام

- محمد ابو شمعة -

- ١ -

ان القضية الرئيسية التي تواجه البشرية اليوم ، هي قضية الحفاظ على الحياة على الارض ، قضية الحفاظ على الوجود البشري. هذا هو مضمون الشعار النضالي امام البشرية ، شعار النضال من اجل السلام. ان قضية السلام تعني في وقتنا الراهن ، قضية وجود او عدم وجود بالنسبة للانسان . وفي ظروف عصرنا ، فانه من الخطأ الفادح تصور حل اية قضية في العالم دون الاخذ بعين الاعتبار مصلحة الحفاظ على السلام ، فمثل هذا التصور هو قاصر وغير واقعي. ونظرا للاحساس المتزايد بالخطر على وجود الانسان ، فان قضية النضال من اجل السلام هي من اكثر القضايا استحواذا على اهتمام الرأي العام العالمي وتستقطب في كل يوم قوى جديدة.

ان التحديد بأن مسألة الحفاظ على السلام هي القضية الرئيسية امام البشرية ، يقتضي رسم سياسة تحالفات واسعة على الصعيد العالمي تخدم متطلبات الدفاع عن السلام بحيث يخضع حل كل التناقضات القائمة في عصرنا لخدمة الهدف السامي ، هدف الحفاظ على الجنس البشري.

لقد اشار التقرير المقدم الى المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي الى انه نشأت بين الامبريالية والبلدان النامية مجموعة جديدة ومعقدة وديناميكية من التناقضات . وحدد التقرير اربع مجموعات من التناقضات على الصعيد العالمي هي :

اولا: مجموعة التناقضات القائمة بين النظامين الاجتماعيين الموجودين في العالم ، اي النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي ، وينجم عن هذه المجموعة التناقض الاهم وهو التناقض بين قوى الحرب وقوى السلام.

ثانيا: مجموعة التناقضات داخل الرأسمالية ذاتها ، كالتناقض بين رأس المال والعمل ، والتناقضات بين الدول الامبريالية المختلفة ، والتناقضات بين الاحتكارات متعددة الجنسية والمصالح الوطنية للدولة . وهناك التناقضات بين المراكز الامبريالية الرئيسية الثلاثة ، اي الولايات المتحدة الاميركية والسوق الاوروبية المشتركة واليابان.

ثالثا: التناقضات بين الامبريالية والبلدان النامية التي تشكل بمجموعها حركة عدم الانحياز

Digitized by Birzeit University Library

وهذه البلدان ستتعاظم مساهمتها في احداث تغييرات على موازين القوى الدولي في النضال ضد الامبريالية ومن اجل السلام.

رابعا: التناقض بين الانتاج والبيئة ، وبين الانتاج والثروات الطبيعية . وهذه التناقضات على تماس مباشر مع مصالح البشرية على الصعيد الكوني لانها تتعلق باسس وجود البشرية ذاتها ، والتي اذا لم تحل فمن الصعب مواصلة العيش ، نظرا للاخلال الكبير الذي حصل على قانون التوازن الطبيعي ، ولان تلوث البيئة بلغ حدا خطيرا جدا.

ان هذا التحديد لموقع حركة عدم الانحياز في مجموعة التناقضات على الصعيد الدولي ، يشير الى تعاظم مكان ودور هذه الحركة في النضال ضد الامبريالية ومن اجل السلام.

- ٢ -

التطور التاريخي لحركة عدم الانحياز

تجب الاشارة الى ان نشوء حركة عدم الانحياز ، كان تعبيرا عن التناقضات بين الامبريالية والبلدان النامية . وان السياق التاريخي لتطور هذه الحركة قد تم في اطار نضالها لحل هذه التناقضات مع الامبريالية . وعندما نشير الى تناقضات حركة عدم الانحياز مع الامبريالية ، نعني بذلك مجموعة من التناقضات التي تتجلى اليوم في كافة مجالات التطور الاجتماعي . فمن جانب ، هي تناقضات سياسية لان الامبريالية تعمل على عرقلة الاستقلال الوطني والسيادة للبلدان النامية . ومن جانب اخر ، هي تناقضات اقتصادية ، لان الامبريالية تبذل كل ما في وسعها من اجل منع التطور الاقتصادي المستقل في هذه البلدان وتحاول ان تستغل هذه البلدان استغلالا بشعا وهي تناقضات اجتماعية ايضا ، اذ ادت سياسة الاستغلال الاقتصادي للبلدان النامية الى ان يقع الجزء الاكبر منها على حافة الافلاس، والى تفشي الجوع والامراض والجهل ، واصبحت اليوم معضلة مستعصية على الحل مسألة تامين اسباب المعيشة للناس في هذه البلدان . واخيرا هي تناقضات ايديولوجية ، اذ تمارس الامبريالية سياسة عداء واسع النطاق ضد نشوء حركات ثورية في البلدان النامية ، وتستخدم في صراعها هذا كل الوسائل الممكنة .

يعتبر مؤتمر باندونغ الذي عقد عام ١٩٥٥ مؤتمرا تحضيريا لتأسيس حركة عدم الانحياز. وتكمن اهميته التاريخية في انه قد حدد طريقة تأسيس هذه الحركة . وانه في هذا المؤتمر ، تبرز لاول مرة دول متحررة حديثا وتقبل مبادىء التعايش السلمي وتعتبرها اساسا لسياسة الدول المتحررة حديثا. لقد جاء مؤتمر باندونغ ردا على محاولات الامبريالية لادخال الدول المستقلة حديثا في الاحلاف الرجعية . اذ نعرف انه كان قد شكل في تلك الفترة حلف جنوب شرق اسيا تحت اشراف الولايات المتحدة ، وهو اشبه الى منظمة عسكرية معادية لكل التطورات التقدمية في تلك المنطقة . وسعى المعسكر الامبريالي لتحقيق نفس الاهداف بتشكيله حلف بغداد ، ولنفس الاغراض تم تشكيل حلف شمالي الاطلسي (الناتو) في بداية الخمسينات ايضا. اذن جاء مؤتمر باندونغ ردا على التطاولات الرجعية الامبريالية ، وبقبول الدول المستقلة حديثا للمبادىء الاساسية لسياسة التعايش السلمي ، تكون بذلك قد انضمت الى المعسكر الاشتراكي في تبنيه لتلك المبادىء ، والذي كان وحيدا حتى ذلك التاريخ في الدعوة لسياسة التعايش السلمي اذ من المعروف ان انتزاع اعتراف الدول الاوروبية الغربية بمبادىء التعايش السلمي لم يتم الا في عام ١٩٧٥ اثناء مؤتمر التعاون

Digitized by Birzeit University Library

والامن الاوروبي ، في هلسنكي.

ويعتبر عام ١٩٦١ عام تأسيس حركة عدم الانحياز رسميا. اذ شهد هذا العام انعقاد مؤتمر القمة الاولى للحركة في بلغراد والذي شاركت فيه ٢٥ دولة وتم فيه وضع واقرار النظام الداخلي للحركة . وجاء في وثيقة هذا المؤتمر ان مباديء التعايش السلمي هي البديل الوحيد للحرب الباردة ولمنع كارثة نووية محتملة.

ومن ابرز زعماء الدول الذين لعبوا دورا اساسيا في تأسيس حركة عدم الانحياز ، جواهر لال نهرو - الهند ، وجوزيف بروز تيتو - يوغوسلافيا ، وجمال عبد الناصر - مصر ، واحمد سوكارنو - اندونيسيا وانكومو نيكروما - غانا.

لقد تطورت حركة عدم الانحياز كثيرا منذ مؤتمرها الاول حتى الان . اذ تضم الان في صفوفها ٩٩ دولة مستقلة ، اضافة لحركتي تحرر وطني هما منظمة التحرير الفلسطينية وسوابو. ويعيش فيها حوالي ملياري انسان ، اي اكثر من نصف سكان العالم . وهذه الدول تشكل ثلثي الدول الاعضاء في الامم المتحدة . ويعتبر الحجم الكبير لهذه البلدان سواء من حيث عددها او عدد سكانها ، من احد العوامل الهامة المقرر لوزن حركة عدم الانحياز ، وهناك جانب اخر يعطي لهذه الحركة وزنا كبيرا ايضا ، هو التزامها في اعمالها ونشاطاتها في النضال من اجل السلام ، ومن اجل الحصول على الاستقلال الوطني ومن اجل التطور الاجتماعي المستقل . حتى يمكن القول ان هدفا رئيسيا لهذه الحركة منذ بداية نشوئها هو الحفاظ على السلام العالمي ، كون السلام العالمي هو احد الاسس الرئيسية للحصول على الاستقلال الوطني . قال نهرو، احد ابرز مؤسسي وزعماء هذه الحركة ، في مؤتمر تأسيسها ، ليس هناك في العالم اهم من النظر الى العلاقة بين قوى الحرب وقوى السلام . وحدد مباديء اساسية لحركة عدم الانحياز ، يمكن القول انه انطلق في تحديدها من المباديء اللينينية لسياسة التعايش السلمي مطبقة على البلدان المستقلة حديثا ، رغم ان نهرو لم يكن شيوعيا.

لقد تمكنت حركة عدم الانحياز حتى عام ١٩٨٦ من عقد ثماني مؤتمرات منذ تأسيسها. وان الزيادة التصاعدية في عدد البلدان التي شاركت في هذه المؤتمرات تشير الى التطور الكبير الذي شهدته هذه الحركة . فكما ذكرنا انه في المؤتمر التأسيسي الاول في بلغراد عام ١٩٦١ قد شاركت ٢٥ دولة ، اما في المؤتمر الثاني في القاهرة عام ١٩٦٤ فقد شاركت ٤٦ دولة ، وفي المؤتمر الثالث في لوساكا عام ١٩٧٠ شاركت ٥٤ دولة ، وفي المؤتمر الرابع في الجزائر عام ١٩٧٣ شاركت ٥٥ دولة ، وفي المؤتمر الخامس في كولومبو عام ١٩٧٦ شاركت ٨٥ دولة ، وفي السادس في هافانا عام ١٩٧٩ شاركت ٩٢ دولة ، وفي السابع في نيودلهي عام ١٩٨٣ شاركت ٩٩ دولة . اما في المؤتمر الثامن في هراري عام ١٩٨٦ فقد شاركت ٩٨ دولة ، اي بغياب ثلاث دول اعضاء من اصل ١٠١ عضوا.

وجدير بالذكر ان مشاركة الدول الاعضاء في مؤتمرات القمة ليست الزامية . ولا تتخذ القرارات سواء بالنسبة لمؤتمرات القمة او للقاءات وزراء الخارجية بالاكثرية . بل تتخذ القرارات على اساس الاجماع ، اي اجماع كافة الدول وليس اغلبيتها . فاذا كانت هناك دولة واحدة ضد القرار او ضد البيان فلا يمكن صدوره . ان هذا يشير الى حقيقتين ، اولاهما اهمية التحضير بمسؤولية كبيرة لهذه المؤتمرات لكي تنجح في اتخاذ قرارات مفيدة ، وثانيتهما هي الوزن الذي تحتله قرارات الدول غير المنحازة. فبرغم وجود انظمة رجعية من بين دول هذه الحركة مثل الاردن والسعودية ، الا انها تكون مضطرة للموافقة على قرارات موجهة ضد الامبريالية . بسبب ان ميزان القوى داخل

Digitized by Birzeit University Library

حركة عدم الانحياز لا يسمح للانظمة الرجعية ان تقف ضد مثل هذه القرارات والبيانات . لان ذلك سيضعها في موقف حرج امام شعوبها ويسبب لها عزلة وسيلحق بها اضرارا كبيرة. لذلك فان بلدا مثل السعودية مثلا ، تجد نفسها مضطرة هنا لان تأخذ موقفا ضد الامبريالية رغم الروابط الوثيقة بين السعودية والامبريالية.

نستنتج مما سبق ، ان التناقض بين الامبريالية وشعوب البلدان النامية ، هو في جوهره تناقض تناحري . انه يتناقض بين مصالح متعارضة لا يمكن التوفيق بينها .

وبعبارة اخرى ، انه لا يمكن تحقيق مصالح البلدان النامية الا عن طريق النضال ضد الامبريالية . لا يمكن تأمين المصالح الحيوية للبلدان النامية الا عن طريق النضال بين قوى السلام والتقدم الاجتماعي من جهة ، وبين قوى الحرب والعدوان من جهة اخرى. ولهذا فان لحركة عدم الانحياز اليوم اهمية بالغة في مجال الصراع على الصعيد العالمي.

- ٣ -

ما هي المباديء الاساسية والاهداف الرئيسية لحركة عدم الانحياز؟

اولا: النضال ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد وكافة اشكال العنصرية.

ثانيا: النضال من اجل تنفيذ مباديء التعايش السلمي في العلاقات بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، بما في ذلك النضال من اجل الامن الدولي ، ومن اجل نزع السلاح ، ومن اجل تصفية سباق التسلح.

ثالثا: النضال من اجل اعادة تنظيم العلاقات الدولية بما في ذلك اعادة تنظيم النظام الاقتصادي العالمي على اسس المساواة في الحقوق.

رابعا: النضال ضد اساءة استخدام الامبريالية لوسائل الاعلام ، ومن اجل اعادة تنظيم هذه الوسائل على اسس جديدة.

خامسا: النضال ضد اي شكل من اشكال التدخل الامبريالي في الشؤون الداخلية لحركة عدم الانحياز ، ومن اجل تعزيز وحدة هذه الحركة المعادية للامبريالية.

ان نظرة سريعة لهذه المباديء والاهداف الرئيسية لحركة عدم الانحياز تمكننا من تحديد ما هو مفهوم الحياد بالنسبة لهذه الحركة ! ولتأكيد هذا المفهوم علينا ان نشير الى وجود معيار وحيد للدول غير المنحازة عند نظرها قبول دول اعضاء جدد في الحركة ، هو عدم الانتماء الى حلف عسكري . ان التأكيد على هذا المعيار ضروري ومهم ، كونه جرت في السابق محاولات لاعضاء مفهوم الحياد مضمونا مغايرا اي ان تأخذ حركة عدم الانحياز مواقف حيادية من الصراع الدائر على الصعيد العالمي . وشكل انصار هذه الدعوة نظريتهم الخاصة: نظرية الابعاد الثلاثة المتساوية بين الدول الكبرى وتعني في التطبيق العملي الحفاظ على بعد متساو تجاه الولايات المتحدة الاميركية ، وبعد متساو تجاه الاتحاد السوفييتي ، وتأتي في الوسط حركة عدم الانحياز. وتعتمد هذه النظرية ، الى حد ما ، على القول بأن كلا من الاتحاد السوفييتي وامريكا مسؤولان عن نشوء بؤر التوتر في عالم اليوم ، ومسؤوليتهما متساوية !! ليخرجوا بالتالي باستنتاج يقول ان من اجل الحفاظ على دور حركة عدم الانحياز فعلى هذه الحركة ان تكون بعيدة بنفس المسافة عن كل من الاتحاد السوفياتي وامريكا.

ان هدف ومضمون هذه الدعوة منع التحالف بين حركة عدم الانحياز والدول الاشتراكية في النضال ضد قوى الحرب. علينا الاعتراف ان هذه النظرية كان لها نفوذ معين في حركة عدم الانحياز ، خصوصا في نهاية السبعينات وبداية

Digitized by Birzeit University Library

الثمانينات . لكن فيما بعد ، وبحكم التجربة ذاتها ، بدأ نفوذ هذه النظرية ينحسر ويتراجع . وقدمت نتائج مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز المنعقد في هراري في حزيران عام ١٩٨٦ دليلا واضحا على تراجع وانحسار هذه النظرية اذ جاء في الوثيقة الختامية للمؤتمر تعبير واضح عن موقف مشترك لهذه الدول في عدائه للامبريالية لم نعهده في الماضي. اذ وصفت هذه الوثيقة الولايات المتحدة الاميركية بأنها المسؤول الرئيسي عن مشاكل عالم اليوم . ولأهمية نتائج هذه القمة سنتطرق لها لاحقا.

تحاول الامبريالية ، وخاصة الولايات المتحدة الاميركية ، منذ نشوء حركة عدم الانحياز ، جذبها الى جانبها وتعمل ايضا على شق صفوفها . ويمكننا تقدير ما تمثله هذه الحركة من وزن ودور على الصعيد العالمي اذا نظرنا الى الجهود التي تبذلها الامبريالية لاضعاف هذه الحركة . وتستخدم في ذلك كل ما في حوزتها من وسائل وامكانيات. اذ تمارس الامبريالية الضغوط السياسية ، والضغوط الاقتصادية ، وتقوم بالعدوان المسلح على دول هذه الحركة . وفي هذا الصدد من المفيد التنويه الى ان كل الحروب التي شنتها الامبريالية بعد الحرب العالمية الثانية كانت كلها موجهة ضد البلدان النامية . اي ضد بلدان في امريكا اللاتينية واسيا وافريقيا !! وتستخدم الامبريالية ايضا وسيلة اغتيال قادة دول حركة عدم الانحياز . والشواهد في التاريخ كثيرة . فعندما تقرر عقد مؤتمر القمة السادس للحركة في هافانا عاصمة كوبا ، بذلت الامبريالية محاولات محمومة للحيلولة دون عقده في كوبا حتى لا يصبح كاسترو رئيسا للحركة للدورة القادمة ، وما يعنيه ذلك من جهود سيبذلها كاسترو لتعزيز وحدة هذه الحركة . لذا فحتى موعد انعقاد المؤتمر ، قامت الامبريالية الاميركية بثلاث محاولات لاغتيال كاسترو ، فشلت جميعها بفضل يقظة الامن الكوبي ، وبالتالي عقد المؤتمر في هافانا وتكللت اعماله بالنجاح وتعزز طابع الحركة المعادي للامبريالية .

عقد المؤتمر السابع للحركة في نيودلهي واصبحت انديرا غاندي رئيسة للحركة . وقدرت الامبريالية ان الحركة ستصبح ليبرالية تحت قيادة انديرا. لكن العكس كان صحيحا لأن انديرا مارست وتابعت اهداف كاسترو واكدت على النقاط المشتركة بين حركة عدم الانحياز والبلدان الاشتراكية ، وخاصة الاتحاد السوفييتي . وتجاه هذه التطورات استخدمت الامبريالية اساليب جديدة ! اذ وجهت مندوبة الولايات المتحدة الاميركية لدى الامم المتحدة ، جين كيرل باتريك في عام ١٩٨١ ، وجهت رسالة ـ انذارا ـ الى ٦٤ دولة غير منحازة تقول فيها ان الولايات المتحدة ستراقب كيف ستصوت الدول غير المنحازة في الامم المتحدة !! واتخذت الولايات المتحدة بعد ذلك اجراءات محددة في هذا الاتجاه ، اذ اوقفت مساعداتها عن الدول غير المنحازة التي تصوت كثيرا ضد الولايات المتحدة.

ومثال اخير ، فان روبرت موغابي بصفته رئيسا للحركة القى كلمة في مؤتمرها الثامن عبر فيها عن تنديده الشديد بالولايات المتحدة بسبب سياستها العدوانية ضد نيكاراغوا ودعمها للنظام العنصري في جنوب افريقيا . وفي اليوم الثاني قدم السفير الاميركي في زيمبابوي رسالة يبلغه فيها ان الولايات المتحدة قد اوقفت مساعداتها المالية الزيمبابوي والبالغة ١٢٫٥ مليون دولار

اذن عندما تتحدث الامبريالية عن موضوع حياد حركة عدم الانحياز ، فانها تريد من هذه الدول ان تقف على الحياد تجاه الولايات المتحدة . واذا فشلت الضغوط السياسية والاقتصادية ، فتنتقل الدول الامبريالية الى العدوان . ولنأخذ اخر الامثلة عن الدول التي وقعت ضحية للعدوان الاميركي :غرينادا، نيكاراغوا ، افغانستان ، كمبوتشيا ، ايران، لبنان ، سوريا ،

Digitized by Birzeit University Library

انغولا ، ليبيا وغيرها. وفي معرض الحديث عن استخدام الامبريالية اسلوب اغتيال القياديين ، نذكر كمثال اغتيال انديرا غاندي. ان هذا ليس شأنا هنديا فقط . اي ليس فقط مؤامرة اعدتها ونفذتها الرجعية الهندية ، فنشاط المخابرات الاميركية كان حاضرا ايضا. وحتى الان فقد تعرض راجيف غاندي الى ثلاث محاولات اغتيال. واغتيل رئيس الوزراء السودي اولف بالمة ، ورغم الاعلان عن عدم معرفة من الذي يقف وراء العملية ، فانه من الواضح ان اصابع المخابرات الاميركية ليست بعيدة ! وايضا حادث سقوط طائرة سامورا ميشيل ووفاته ، فقد اصبح معروفا من دبر هذا الحادث ، اذ اظهرت نتائج التحقيق انه كان مخططا للطائرة ان تسقط لأن تخريبا متعمدا كان قد حمل في اجهزتها ادى الى ان لا تعمل بشكل صحيح!! وبغض النظر عن التناقضات في الوضع اللبناني ، فان اغتيال رشيد كرامي ، رئيس الوزراء الاسبق ، يأتي في نفس الاطار.

اذا اردنا ان نحدد مكان كل هذه الانشطة ،فهي تأتي في اطار الاستراتيجية الكونية للولايات المتحدة الاميركية التي يطلقون عليها اسم "الاستراتيجية الكونية الجديدة"! ان ما يطلقون عليه النضال ضد الارهاب الدولي هو جزء مكون لهذه الاستراتيجية العامة للامبريالية. لقد اوضح ريغان علانية مفهومه لشعار النضال ضد الارهاب الدولي ، لقد فسره بانه النضال ضد كافة القوى التي تناهض نهج الولايات المتحدة وتريد ان تنتهج نهجا مستقلا! وفي الاجتماع العام الثامن والثلاثين للامم المتحدة عام ١٩٨٣ قال ريغان بان كل حكومات الدول غير المنحازة التي تقف ضد سياسة الولايات المتحدة هم جواسيس للاتحاد السوفييتي ! واضاف "ان حكومات تخدم مصالح الاتحاد السوفييتي وفقدت استقلالها منذ زمن ، قد دخلت في حركة عدم الانحياز وتعمل ضد الاهداف الحقيقية لهذه الحركة !!

لقد فشلت هذه المحاولات الامبريالية من اجل اضعاف حركة عدم الانحياز ، بل يمكن القول انه تم تحقيق عكس ما ارادته الولايات المتحدة وحلفاؤها ، اذ تعزز الاتجاه الاساسي المعادي للامبريالية في داخل حركة عدم الانحياز ، خاصة في قمة هراري ، فاين تكمن اسباب ذلك؟

- ٤ -

ما هي عوامل وحدة حركة عدم الانحياز وتعزز اتجاهها المعادي للامبريالية؟

اذا القينا نظرة على الدول الاعضاء في حركة عدم الانحياز فسنجد صورة تعج بالتناقضات والتباينات ، وسنجد خلافات عديدة في صفوف هذه الدول. اذ توجد فوارق اجتماعية ، اقتصادية عميقة بينها ، ونجد في صفوفها بلدانا متطورة صناعيا مثل البرازيل والمكسيك والهند وغيرها . ونجد ايضا اتجاهات سياسية مختلفة ، اتجاهات رأسمالية واتجاهات اشتراكية . بلدان تنتهج نهجا رجعيا واخرى تنتهج نهجا تقدميا ، انها صورة متناقضة ، ملونة. فاين نجد وحدة هذه الصورة الملونة؟ اين نجد صورة وحدة الخلافات والفوارق؟

نعرف ان كل السياسة تعكس بالاساس المصالح الاقتصادية ، وليس اية اوهام اخرى وعندما نطرح السؤال : اين هي المصالح الاقتصادية - الاجتماعية المشتركة بين هذه الدول؟ فاننا نقترب من الاجابة على السؤال اعلاه.

ان جميع هذه البلدان ، رغم كل الخلافات والتباينات ، تلتقي من حيث كونها ما زالت

Digitized by Birzeit University Library

تعاني حتى اليوم من نتائج السيطرة الاستعمارية ، ومن سياسة الاستعمار الجديد. لذلك ومن اجل ضمان تطور مستوى المعيشة في هذه البلدان عليها ان تناضل ضد نتائج السياسة الاستعمارية والامبريالية ، وفي هذا تكمن المصالح الموضوعية لهذه الدول.

لقد توصلت هذه الدول، وخاصة في قمة هراري ، الى الاستنتاج انه لا يمكنها حل مشاكلها الا في ظروف السلام العالمي وفي ظروف نزع السلاح. ولا يمكن حل مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية الا في ظل وجود نظام اقتصادي ديمقراطي عالمي. ان هذه المصالح هي عامل مشترك بين جميع دول عدم الانحياز ، وهي التي تشكل القاعدة لسياستها المشتركة . وبالتالي تمثل كافة الخلافات والفوارق الاخرى - السياسية والاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية - مكانا ثانويا تجاه القضايا المشتركة.

واذا نظرنا الى هذه المصالح المشتركة الموضوعية ، فهذا يقودنا الى الاستنتاج الموضوعي بان نضال بلدان حركة عدم الانحياز من اجل السلام ، وضد التخلف الاقتصادي والاجتماعي ، ومن اجل نظام اقتصادي ديمقراطي عالمي عادل ، يساوي قضية النضال ضد الامبريالية . انه الرديف لتعبير النضال ضد الامبريالية . ومهمات النضال هذه في ظروف عصرنا ، هي مهمات نضال ديموقراطي . ولا يمكن تحقيق هذه المهام الا في ظل ظروف سلمية. لذلك فان نضال حركة عدم الانحياز من اجل تحقيق اهدافها هو جزء من نضال جميع القوى على النطاق العالمي من اجل السلام ، بما فيها تلك القوى في معسكر الامبريالية ذاتها غير المرتبطة بالانتاج الحربي ، التي يجب السعي للتحالف معها وتركيز كل القوى للنضال ضد تلك الدوائر الامبريالية المرتبطة بالانتاج الحربي ، وتسعى لسباق التسلح وتوتير الوضع الدولي.

ان تحقيق اهداف الدول غير المنحازة توفر مجالا للتحولات الثورية ولتطورات تقدمية داخل هذه البلدان. وهنا يكمن الارتباط بين النضال من اجل السلام ، وضد التخلف الاقتصادي ، وضد التبعية ، مع النضال من اجل التحولات الثورية في بلد معين . وفي ظروف شعبنا الفلسطيني ، فان النضال ضد الاحتلال الاسرائيلي ومن اجل حق شعبنا في العودةوتقرير المصير واقامة الدولة الوطنية المستقلة ، هو جزء لا يتجزأ من عملية النضال من اجل السلام ومساهمة مباشرة من شعبنا في هذا النضال.

في البيان السياسي الصادر عن قمة هراري وردت جملة تحدد بصراحة اهداف حركة الانحياز ، تقول ان عدم الانحياز تعني سياسة نشيطة في النضال ضد الامبريالية . فهذا هو المهم ، هيلست نشيطة ضد الاستعمار ، ضد الهيمنة ، ضد العدوان ، ضدالاحتلال والتمييز العنصري والعنصرية والصهيونية ، وضد كافة اشكال التبعية والتدخل وممارسة الضغوط . ان هذه الجملة صريحة جدا في تحديدها للخط السياسي الاساسي لحركة عدم الانحياز. وبالتالي فاننا نجد حركة عدم الانحياز هي موضوعيا حليف للدول الاشتراكية.

- ٥ -

مؤتمر القمة الثامن في هراري :

نتائج واستنتاجات!

نستعرض بايجاز اهم نتائج مؤتمر القمة الثامن لدول حركة عدم الانحياز في هراري. لقد صدر عن المؤتمر وثيقتان اساسيتان . بيان سياسي واخر اقتصادي. اما البيان السياسي فقد اشتمل على النقاط الرئيسية التالية:

اولا: تحديد موقف حازم من العلاقة بين الحرب

Digitized by Birzeit University Library

والسلام على النطاق العالمي ، والتأكيد على ضرورة اتخاذ خطوات واجراءات لنزع السلاح كأهم الاسس لحل القضايا الاجتماعية والاقتصادية . لقد اتخذت البلدان النامية موقفا صريحا وحازما ضد سباق التسلح ، واتخذت موقفا واضحا ضد مخططات الولايات المتحدة الهادفة الى نقل سباق التسلح الى الفضاء الخارجي ، واعلنت تأييدها للاقتراحات المقدمة من جانب الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الاخرى حول نزع السلاح.

ثانيا: اولى البيان اهمية كبيرة لاطفاء بؤر التوتر ، واهمها الادانة الواضحة للنظام العنصري في جنوب افريقيا ، ووصفت الدول النظام العنصري بصفته المسؤول الرئيسي عن كافة النزاعات في هذه المنطقة. . وادانت الدول غير المنحازة الولايات المتحدة لمساعدتها للنظام العنصري في جنوب افريقيا ادانة حازمة. وادانت الدوائر العدوانية المسؤولة عن الاعتداءات على انغولا وموزابيق وناميبيا ، وطلبت الدول غير المنحازة مقاطعة اقتصادية لجنوب افريقيا . وعبرت عن تضامنها مع نضال الشعب الفلسطيني ومع م.ت.ف وعبرت عن تأييدها لعقد مؤتمر دولي كامل الصلاحيات لاحلال السلام في الشرق الاوسط. وادانت الاعتداءات الاميركية على ليبيا ، ودعت الى انهاء حرب الخليج بين العراق وايران ، ودعت الى الحل السياسي لمشكلة افغانستان ، واكد البيان على حق الشعب الكمبوتشي في تقرير مصيره ، وادانت الحركة في بيانها مساعدة الولايات المتحدة للثورة المضادة في نيكاراغوا.

ان البيان السياسي لقمة هراري والذي يشتمل على ١٩٦ صفحة ، قد تمت فيه ادانة الولايات المتحدة الاميركية ٥٤ مرة. وقبل كل شيء بسبب الارهاب الذي تمارسه في العديد من مناطق العالم . ولاول مرة في تاريخ هذه الحركة مثل هذه الصراحة ، اذ ان البيانات السابقة كانت تعتمد الى حد ما حلولا وسطا تعبيرا عن ميزان القوى داخل الحركة. ان هذا الموقف المعبر عن تغير موازين القوى داخل الحركة وخارجها ، والذي يشير الى تغيير في الرأي العام العالمي تجاه الولايات المتحدة ، سيساعد على حماية وحدة هذه الحركة والوقوف ضد المحاولات الرامية لتقسيمها من قبل الدوائر الامبريالية .ويمكن التقدير ان السياسة التقدمية للدول غير المنحازة هي نتيجة مباشرة للسياسة الرجعية التي تنتهجها الولايات المتحدة الاميركية ، وخاصة ادارة ريغان . هذا جانب واحد من المسألة ، اما الجانب الاخر فهو السياسة الخارجية الواقعية التي تنتهجها الدول الاشتراكية ، وخاصة الاتحاد السوفييتي . والتي لا يستطيع كل القادة العقلانيون الاالقبول بها.

اما البيان الاقتصادي الصادر عن قمة هراري، فقد اكد على ضرورة النضال من اجل نظام اقتصادي عالمي ديموقراطي جديد.

وهكذا نستنتج من نشاطات ومواقف حركة عدم الانحياز ان العالم يسير قدما والى امام بغض النظر عن كافة المشاكل والانتكاسات.

-٦-

موقف الدول الاشتراكية من نتائج قمة هراري ومن حركة عدم الانحياز بشكل عام

في شهر ايار عام ١٩٨٧ ، عقدت في برلين عاصمة جمهورية المانيا الديموقراطية ، دورة للمجلس الاستشاري لدول معاهدة حلف وارسو وصدرت عن هذه الدورة وثائق هامة ، من بينها

Digitized by Birzeit University Library

اقتراحات الدول الاشتراكية من اجل نزع السلاح وحفظ السلام ، ووثيقة بعنوأن الاستراتيجية العسكرية لحلف وارسو ، ومن بين هذه الوثائق وثيقة تطرح برنامجا متكاملا للتغلب على التخلف واعادة تنظيم النظام الاقتصادي العالمي.

ما هي الخطوط والمنطلقات الاساسية في هذه الوثيقة؟

اولا: التأكيد على الارتباط القوي بين تعزيز السلام والنضال من اجله من جهة ، وتعزيز التطور الاقتصادي من جهة اخرى. وتشير الوثيقة الى ان الاوضاع الدولية الراهنة التي تتميز بنهج المواجهة من جانب الدول الامبريالية ، وخاصة اميركا ، تؤثر سلبيا على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلدان النامية . والحقائق المتعلقة بموقف امريكا تجاه البلدان النامية تبرهن على هذا . ومن هنا ضرورة اتخاذ خطوات عملية من اجل الحد من الاسلحة ، من اجل نزع السلاح . وهذه الخطوات ليست ضرورية فقط من اجل الحفاظ على السلام ، وانما هي ضرورية لحل المشاكل الاقتصادية - الاجتماعية للبلدان النامية . وقد تؤدي هذه الخطوات العملية الهادفة الى نزع السلاح الى توفير مبالغ ضخمة يمكن استخدامها لحل المشاكل الاقتصادية في البلدان النامية في فترة زمنية قصيرة.

ثانيا: ان كل الوثائق التي صدرت عن دورات المجلس الاستشاري السياسي منذ عام ١٩٨٤ وحتى الان ما زالت صالحة ومعمولا بها ، وتعتمد الوثيقة الجديدة المتعلقة باعادة تنظيم الاقتصاد العالمي على الوثائق السابقة.

ثالثا: اوضحت دول معاهدة حلف وارسو انها تؤيد البيان الاقتصادي الصادر عن مؤتمر القمة الثامن لحركة عدم الانحياز في هراري.

رابعا: اشارت دول معاهدة حلف وارسو الى ان بيان هراري الاقتصادي لا يعتبر بديلا عن البيان الصادر عن الامم المتحدة بهذا الخصوص ، بل هو مكمل له.

خامسا: تشير الدول الاشتراكية في هذه الوثيقة الى اسباب التخلف. فتؤكد على ان السبب الرئيسي لتخلف البلدان النامية هو الاستغلال الذي تتعرض له هذه البلدان من قبل الاستعمار منذ زمن طويل. وسبب ثان يكمن في الاستغلال القاسي والنهب لهذه البلدان من قبل الاستعمار الجديد. ان الامبريالية مدينة الى حد كبير في استمرار وجودها الى استغلال ونهب البلدان النامية . وبعبارة اخرى فانه بدون نهب واستغلال البلدان النامية فهذا يشكل تهديدا لاسس وجود الامبريالية ، لان عملية نهب واستغلال هذه البلدان هي شرط من شروط وجود الامبريالية . لذا فان الامبريالية ستقاوم اعادة تنظيم الاقتصاد العالمي بشراسة . وتبرهن على ذلك نتائج التصويت حول الموضوع في الامم المتحدة ، اذ في كل مناسبة تصوت اميركا وفرنسا وبريطانيا والمانيا الاتحادية ضد المشاريع التي تستهدف اعادة تنظيم الاقتصاد العالمي.

سادسا: لا يمكن حل هذه التناقضات بين الامبريالية والبلدان النامية باستخدام العنف . ان حلها يحتاج الى زمن طويل والى مستويات مختلفة من الحلول ، واحيانا حلول وسط على ضوء ميزان القوى الدولي.

سابعا: تشير الوثيقة الى اساليب الاستغلال والنهب ، من بينها الازمة المالية الامبريالية ، وسياسة الفوائد العالية على الديون ، ونهب الارصدة المالية من البلدان النامية، والعلاقات التجارية غير المتكافئة . وهنا تم التأكيد على انه لا يمكن حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية للبلدان النامية الا باعادة تنظيم الاقتصاد العالمي ضمن اطار الامن الدولي.

كيف تقترح الدول الاشتراكية اعادة تنظيم الاقتصاد العالمي؟

Digitized by Birzeit University Library

ترى الحل ، في الدرجة الاولى ، بايجاد حل عادل لمشكلة ديون البلدان النامية. وترى ان الديون هي اهم مشاكل البلدان النامية . وتعتبر الدول الاشتراكية ان الحل العادل يشتمل على جانبين ، اولهما انه لا يمكن حل هذه المشكلة الا في اطار حل عالمي. اي يجب ان ينطبق الحل على البلدان النامية كلها. ويجب التأكيد على هذا لان الامبرياليين يمارسون تكتيكا اخر. انهم يريدون حلولا منفردة في مسألة المديونية مع كل بلد على حدة . وثانيهما ، ان دول حلف وارسو تؤكد على ضرورة تسديد ديون البلدان النامية حسب القدرة الاقتصادية لكل بلد. فكما نعرف ان بعض البلدان النامية امتنعت عن تسديد ديونها ، او خفضت اقساطها ، فالبرازيل قد قررت الامتناع عن تسديد ديونها ، وقررت بيرو تسديد ديونها بنسبة ٢٥٪ من ايرادات صادراتها ، وقررت زامبيا تخصيص ١٠٪ من ايراداتها من الصادرات سنويا لتسديد الديون. من الضروري ان تجد البلدان النامية وسائل معينة لحل مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية ، وفي السابق التجأت الى المصارف الرأسمالية الكبيرة. وبدلا من الحلول المنفردة تقترح البلدان الاشتراكية حلا عاما يطبق على البلدان النامية كلها ، يحول دون هذه الحلول المنفردة بين الامبرياليين والبلدان النامية ويسهل حل المشكلة.

قبل سنتين قدم كاسترو اقتراحا طموحا يقضي بالغاء ديون البلدان النامية التي تبلغ حاليا الف مليار دولار (تريليون دولار) ، واضاف انه من الضروري نزع السلاح، لان المبالغ التي تذهب للتسلح هي اضخم بكثير من ديون البلدان النامية . فمشروع حرب النجوم ستخصص له الولايات المتحدة حتى عام ١٩٥٥ مبلغا يساوي اثني عشر ضعفا لديون البلدان النامية! اي ان الامتناع عن تنفيذ حرب النجوم في هذه الحالة يعني انهاء مشكلة ديون البلدان النامية دفعة واحدة. وواضح انه من الصعب تنفيذ هذا الاقتراح في الممارسة العملية ، لذلك تقول الدول الاشتراكية بضرورة البحث عن حلول وسط.

وتدعو وثيقة دول معاهدة جلف وارسو الى منع المقاطعة التجارية ، والامتناع عن تقديم القروض ، والمقاطعة الدبلوماسية والمقاطعة التكنولوجية ، والامتناع عن اسلوب استخدام العلاقات الاقتصادية لممارسة الضغوط السياسية. لذلك ايدت الدول الاشتراكية اجراءات الامم المتحدة الهادفة الى الحد من تصرف الاحتكارات.

اضافة لذلك تقترح دول حلف وارسو الحفاظ على حق كل شعب في اختيار نهج تطوره. وان البلدان الاشتراكية مستعدة لاقامة علاقات تعاون اقتصادي تعتمد على اتفاقيات طويلة الاجل مع كافة البلدان النامية . وتؤكد البلدان الاشتراكية على ان المساهمة الحاسمة في حل المشكلة هي في استخدام مصادر البلدان النامية من اجل تطورها.

واقترحت الدول الاشتراكية تعزيز التعاون الاقتصادي بين الدول النامية ذاتها.

واكدت الوثيقة انه لا يمكن حل مشاكل التخلف ، والمشاكل الاجتماعية في البلدان النامية ، الا بمشاركة كل دول العالم ، لذلك دعت الى ضرورة اتخاذ اجراءات معينة ضمن الامم المتحدة . واقترحت عقد ندوة دولية (مؤتمر دولي) لضمان الامن الدولي ، واعادة تنظيم النظام الاقتصادي العالمي. واكدت الدول الاشتراكية استعدادها لتقديم مساعدات من اجل ممارسة نشاطات لحل هذه القضايا.

Digitized by Birzeit University Library

التبادل اللامتكافىء والتنمية الاقتصادية

في اطار العلاقات الاقتصادية

الدولية الراهنة

ربحي محمود حمدونة

(١)

التبادل اللامتكافىء والاطار الراهن

للعلاقات الاقتصادية والدولية

١-١ النشأة التاريخية للاطار الراهن للعلاقات الاقتصادية الدولية "النظام الاقتصادي العالمي":

تعتبر ظاهرة انتظام دول العالم الثالث في نظام شامل للاقتصاد العالمي ظاهرة حديثة نسبيا، اذ ترجع الى حوالي منتصف القرن التاسع عشر، حيث اكتمل للمرة الاولى في التاريخ، تكوّن السوق العالمي ، على اساس سيادة الدول الرأسمالية المتقدمة ، فقبل ذلك كانت اجزاء العالم منفصلة عن بعضها البعض اقتصاديا وكان التبادل يتم بصفة رئيسية داخل كل جزء من هذه الاجزاء، وبصفة ثانوية بين هذه الاجزاء بعضها البعض (١).

ولم تقف العلاقات الاقتصادية التي صاغتها الرأسمالية المتقدمة عند توحيد العالم في سوق عالمي واحد وانما امتدت الى صياغة علاقات انتاج دولية وتقسيم دولي للعمل - وعلاقات توزيع دولية - اقتسام دولي لعائد الانتاج والتبادل الدوليين - وذلك بخلاف السابق حيث اقتصرت

Digitized by Birzeit University Library

العلاقات الاقتصادية بين الجماعات المتمايزة (امم - دول) على التبادل.

وهكذا فان سكان الكرة الارضية ، ما عدا الجيوب الصغيرة المنعزلة هنا وهناك قد اصبحوا جميعا اطرافا في نظام واحد هو النظام الاقتصادي العالمي للرأسمالية (٢) وتشكيل السوق العالمية لم يتم دفعة واحدة ، وانما استغرق مدى طويل امتدت بداياته حتى القرن السادس عشر (٣) مارا بمراحل عديدة حتى اكتمل كما ورد سابقا حوالي منتصف القرن التاسع عشر ، على اساس سيادة الدول الرأسمالية ، وهكذا فانه باكتمال السوق الرأسمالية العالمية ، انتظم العالم لاول مرة في تاريخه في اطار نظام اقتصادى عالمي International Economic Order بنته الرأسمالية عبر ثلاث مراحل :(٤)

١ - المرحلة الاعدادية او التحضيرية ، وهي مرحلة الرأسمالية التجارية التي امتدت تقريبا منذ ١٤٥٠ حتى عام ١٧٧٦.

٢ - المرحلة الوسطية ، وهي المرحلة الرأسمالية الصناعية والرأسمالية التي امتدت منذ عام ١٧٧٦ حتى عام ١٩٠٠.

٣ - مرحلة التبلور ، وهي مرحلة الرأسمالية المتقدمة والرأسمالية المالية عام ١٨٧٠ وحتى عام ١٩١٤.

استندت الدول الرأسمالية الاوروبية في قيامها بتشكيل السوق العالمية ، تحت سيادتها، الى قواها العسكرية ونفوذها السياسي، ولعل في دراسة الاساليب والوسائل التي لجأت اليها القوى الاوروبية في تكوين السوق العالمية وصياغة العلاقات الاقتصادية الدولية بينها وبين الامم الاخرى ، ما يبرز بوضوح دور القوة والسيطرة السياسية في العلاقات الدولية ...

في دراسته عن التجارة والقوة خلص سيديري Sideri الى ان التفسير التاريخي لظاهر: التبادل الدولي لا بد وان يتضمن عنصر القوة ... اذ كما يقول وايلز Wiles فان العلاقات الاقتصادية هي عمل سياسي (٥) ويرى د. فوزي منصور ، ان المنهج الذي يبدأ بالتركيز على الفوارق بين المعاملات الداخلية والمعاملات الخارجية (الدولية) في دراسة الاقتصاد الدولي والعلاقات الاقتصادية الدولية ، يؤدي الى تجزئة بعض القضايا الرئيسية للعلاقات الاقتصادية الدولية تجزئة تخفي معها الصورة الكلية لتلك القضايا ، والى تجاهل عدد من القضايا الرئيسية الاخرى التي لا يتصور فهم العلاقات الاقتصادية الدولية دونها، مثل دور القوة او السيطرة السياسية في تشكيل العلاقات الاقتصادية الدولية والنتائج المترتبة على اختلاف مستويات التطور الاقتصادي والاجتماعي بين البلدان التي تدخل اطرافا في علاقات اقتصادية دولية (٦).

١-٢ الخصائص الجوهرية للاطار الراهن للعلاقات الاقتصادية الدولية :

العلاقات الاقتصادية السائدة في عصرنا الراهن ، لا تزال الى حد كبير امتدادا او نتاجا ، لذلك النوع الخاص من العلاقات الذي نشأ وتطور ابتداء من القرن السادس عشر ، مع نشأة وتطور النظام الرأسمالي، وارتقائه الى مركز السيادة العالمية ، وتكون السوق العالمي الموحد في ظله (٧) وهكذا فان اغلب خصائص الاطار الراهن للعلاقات الاقتصادية الدولية ، انما هي استمرار لنفس الخصائص التي ميزت هذا الاطار منذ تبلوره، ذلك ان التطورات التي لحقت بهذا الاطار عقب تبلوره وحتى الان، انما انتابت اليات ممارسة النظام ، ولم تمتد الى تغيير جوهره،... والسمة الجوهرية لهذا الاطار تتمثل في انه نظام للاستغلال، قام ولا يزال من حيث جوهره السياسي والاقتصادي على بناء التقدم في

Digitized by Birzeit University Library

طرف من خلال بناء وتكريس التخلف في طرف اخر ، فتصنيع الدول الرأسمالية المتقدمة، في ظل هذا الاطار ، انما كان مشروطا بالحيلولة دون تصنيع دول العالم الثالث ، ونمو القوى الانتاجية في الدول الرأسمالية المتقدمة ، انما اعتمد في احد مصادره على استنزاف القوى الانتاجية لدول العالم الثالث، والمصادرة على امكانيات نموها اما بقية خصائص وسمات هذا الاطار ، فهي اما نتاجا ، لصفته الجوهرية - الاستغلال - واما شرطا ضروريا لها، وتتمثل ابرز سمات الاطار الراهن للعلاقات الاقتصادية الدولية فيما يلي :

١- انقسام العالم - او التي يشملها الاطار - الى مجموعتين متمايزتين... هما الدول الرأسمالية المتقدمة، ومجموعة دول العالم الثالث (ويجيء اعتبار الاطار الراهن، مكونا من مجموعتين فقط ، على اعتبار ان الدول الاشتراكية انفصلت عن هذا الاطار بتشكيلها للسوق الاشتراكية الدولية الخاصة بها) ... هاتان المجموعتان ، تختلفان من حيث التنظيم الاقتصادي - الاجتماعي ،ومن حيث درجة تطور قوى الانتاج، ومستوى التطور الاقتصادي والسياسي ، وترتبط بينهما (اي بين المجموعتين من الدول) علاقات السيطرة / التبعية ، والتي تمثل نتاجا تاريخيا للاستغلال الذي مارسته الدول الرأسمالية المتقدمة ، وشرطا لاستمراره حاليا.

٢- التنظيم الاحتكاري للسوق العالمي وسيطرة الاحتكارات القومية في الدول الرأسمالية المتقدمة والاحتكارات الدولية العملاقة على هذه السوق ، ومساندة الدول الرأسمالية المتقدمة لهذه الاحتكارات في مواجهة دول العالم الثالث ، التي تفتقر - في اغلب الاحوال - لاية تنظيمات خاصة بها- لمواجهة هذا الوضع.

٣- عدم التكافؤ بين المجموعتين الاساسيتين في النظام : وعدم التكافؤ ، صفة شاملة لكافة ابعاد الاطار الراهن للعلاقات الاقتصادية الدولية ، فهو يبرز ، من خلال سيطرة الدول الراسمالية المتقدمة على اجهزة وتنظيمات الاقتصاد الدولي ، خاصة سيطرتها على البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ، كما يبرز على صعيد القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، اذ تتفوق الدول الرأسمالية المتقدمة على دول العالم الثالث في هذه المجالات جميعها، ويبرز كذلك في مجال التعامل الاقتصادي بين المجموعتين اذ يبرز عدم التكافؤ على صعيد هيكل الاقتصاد الدولي سواء في مجال التبادل التجاري - من خلال التبادل اللامتكافيء بين المجموعتين - او في مجال علاقات الانتاج وتقسيم العمل الدولي ، حيث فرض على دول العالم الثالث - بالاساليب المتنوعة الاقتصادية والسياسية والعسكرية - التخصص وفقا لمقتضيات مصالح الدول الرأسمالية والمتقدمة واخضع تقسيم العمل الداخلي في هذه الدول - دول العالم الثالث - وفقا لمتطلبات تقسيم العمل الدولي (٧)

بينما تعاني اقتصادات الدول المتخلفة في العالم الثالث من التطرف في التخصص ، وافتقاد التنوع، ومن ثم افتقادها لاقتصاد متوازن ، فان الدول الرأسمالية المتقدمة تتمتع باقتصادات متنوعة ومتوازنة، وبتقسيم عمل داخلي تم اخضاع التخصص وتقسيم العمل الدولي وفقا لمقتضياته وليس العكس... كما يبرز عدم التكافؤ بين المجموعتين من الدول ، من خلال علاقات التوزيع الدولية - اقتسام عائد التجارة وتقسيم العمل الدوليين.

ويرتبط عدم التكافؤ تبادليا بعلاقات السيطرة والتبعية، اذ ان عدم التكافؤ يهيء لقيام علاقات السيطرة / التبعية ، كما ان علاقات السيطرة والتبعية تعمل على تعميق وتكريس عدم التكافؤ.

Digitized by Birzeit University Library

١-٣ العوامل التي تدفع تجاه عدم التكافؤ في ظل الاطار الراهن للعلاقات الاقتصادية الدولية :

العوامل التي تدفع تجاه عدم التكافؤ بين الدول الرأسمالية المتقدمة ودول العالم الثالث، هي ذات العوامل التي تمكن من استمرار علاقات السيطرة / التبعية التي تربط بين هاتين المجموعتين من الدول ، في ظل الاطار الراهن للعلاقات الاقتصادية الدولية.... فالعلاقات الاقتصادية والسياسية الدولية ، لاي بلد ، انما تتحدد اساسا بالظروف الاقتصادية والسياسية (الداخلية) لهذا البلد، بالاضافة الى الظروف السائدة والمميزة لاطار العلاقات الدولية... وفيما يلي نتناول كلا من هذه العوامل والظروف من حيث اثرها على امكانيات التكافؤ في العلاقات الدولية :

١) مستوى تطور القوى الانتاجية:

ان الاختلاف في درجة تطور القوى الانتاجية ، اصبح الان يشكل العامل الاكثر فعالية في تحديد مجرى وطبيعة العلاقات الاقتصادية الدولية (٨) والاختلاف في مستوى تطور القوى الانتاجية ، ينصرف في الواقع الى معنيين متمايزين ، كل منهما يشير الى نوع مختلف من انواع العلاقات الاقتصادية الدولية ، الاول: يتمثل في الاختلاف بين بلد واخر في المستوى العام لتطور قوى الانتاج ، والثاني : يتمثل في الاختلاف بين بلد واخر في مستوى تطور قوى الانتاج فيما يتعلق باحد او ببعض فروع الانتاج (٩) والنمط الاول من الاختلاف في مستوى تطور القوى الانتاجية ، يمثل في الواقع الاساس الذي يستند اليه عدم التكافؤ.

وعلى صعيد المقارنة بين المستوى العام لتطور قوى الانتاج في الدول الرأسمالية المتقدمة والدول المتخلفة في العالم الثالث فان الدول الراسمالية المتقدمة تتميز بتطور قواها الانتاجية بشكل عام وتفوقها على الدول المتخلفة في العالم الثالث في كافة مجالات النشاط الاقتصادي (١٠).

٢) طبيعة النظام الاجتماعي والاقتصادي السائد:

يلعب هذا العامل دوره في تحديد نمط العلاقات الدولية للبلد المعني ، من خلال تأثيره على امكانيات تطوير القوى الانتاجية لهذا البلد ، فحيثما يسود نظام اقتصادي اجتماعي يساعد على تطوير القوى الانتاجية ، فانه يتاح للبلد امكانية التكافؤ في علاقاته الاقتصادية الدولية، وحيثما يسود نظام اقتصادي اجتماعي يعرقل عملية تنمية القوى الانتاجية ، فانه يسلب البلد المعني امكانية التكافؤ، ويجعله عرضة لعلاقات غير متكافئة.

وبينما يسود النظام الرأسمالي الناجز في الدول الرأسمالية المتقدمة ، حيث تسود علاقات الانتاج الرأسمالية ، ويسود الانسجام والتجانس هذه العلاقات اذ لا يتواجد الى جانب هذا الشكل من علاقات الانتاج اي اشكال اخرى من علاقات الانتاج ، فان الدول المتخلفة في العالم الثالث ، يسودها نظم اجتماعية واقتصادية اما سابقة على الراسمالية واما نظم تعبر عن مرحلة انتقالية حيث يتواجد العديد من اشكال العلاقات الانتاجية، الامر الذي يؤدي الى عدم انسجام وتجانس علاقات الانتاج بعضها البعض ، ومع القوى الانتاجية ،ومن ثم فان هذه البلدان تعاني من ضعف امكانيات تطور القوى الانتاجية فيها.

Digitized by Birzeit University Library

٣) طبيعة النظام السياسي :

والدور الذي يلعبه النظام السياسي هنا، في صياغة علاقات اقتصادية دولية متكافئة او غير متكافئة، انما ينبع من مدى قدرة هذا النظام على التعبير الحر عن الارادة الوطنية - بما تمثله من مصالح اقتصادية وسياسية ... الخ - ونقلها الى ارض الواقع ، اي الى حيز التنفيذ ، وقدرة اي نظام في هذا المجال انما هي انعكاسا لمدى قوته ومتانة بنيانه الداخلي ، اي انعكاسا لظروفه الداخلية ، وفي الوقت الذي يسود النظام الديمقراطي البرلماني في اوروبا، والدول الرأسمالية المتقدمة عموما، متمتعا باستقرار داخلي وبقوة عسكرية وسياسية ، فان العالم الثالث تسوده انماط من انظمة الحكم، تقوم في معظمها على اساس الفئة القليلة العدد الكبيرة الثروة المتسعة النفوذ المالي والسياسي ، والمرتكنة في نفوذها هذا ، اما الى قوة الجيش او الى القوة الاجنبية ... والتي ترتبط في اغلب الاحوال مع الشعب بعلاقات الخوف والعداء، (١١) . وهكذا فان عدم استقرار هذه النظم داخليا ، ينعكس عليها خارجيا بالضعف ويمكن هنا قيام علاقات عدم التكافؤ ... ويلاحظ على اغلب صور التبعية السائدة انها ذات مضمون سياسي، اذ تسود علاقات التبعية الاقتصادية تجاه البلد او الجهة التي يكون النظام السياسي اشد ارتباطا بها سياسيا (١٢).

٤) هيكل الاقتصاد الوطني ، ومدى توافر مقومات الاستقلال الاقتصادي بهذا الهيكل:

في الاطار الراهن للعلاقات الاقتصادية الدولية ، فان سمات وخصائص الهياكل الاقتصاديةلدول العالم الثالث ، تمارس اثرا هاما ودورا ملحوظا في تهيئة الظروف المواتية والامكانية لقيام واستمرار علاقات السيطرة / التبعية من خلال دفعها تجاه عدم التكافؤ... وتتمثل اهم هذه الخصائص في : عدم اكتمال بنيان الهياكل الاقتصادية لدول العالم الثالي، وافتقادها للتنوع ومن ثم تمتعها بدرجة متدنية من التكامل الاقتصادي الذاتي (الداخلي) وارتفاع درجة تكاملها مع الاقتصادات الخارجية ، خاصة اقتصادات الدول الرأسمالية المتقدمة، ومن ثم ارتفاع درجة تبعيتها للخارج، سواء فيما يتعلق بمدخلات ومتطلبات العمليات الانتاجية او فيما يتعلق بتصريف الناتج المتحقق في هيكلها الانتاجي. وافتقاد التنوع، يؤدي الى اضعاف مرونة الهيكل الانتاجي والاقتصادي ومن ثم مدى قدرته على التكيف مع المتغيرات الاقتصادية الداخليةو/او الخارجية.

ومما يساعد على تعميق اثار افتقاد التنوع، وعدم اكتمال البنيان الاقتصادي لدول العالم الثالث، وجود الازدواجية الاقتصادية ، حيث ينقسم في ظلها الاقتصاد القومي ، الى هيكلين متمايزين ومنفصلين احدهما متخلف وتقليدي والاخر متقدم غير انه منفصل عن الاول ويرتبط بالعالم الرأسمالي ارتباطاشبه تام.

وتنعكس خصائص الهيكل الانتاجي لدول العالم الثالث على هيكل تجارتها الخارجية، اذ انها تمثل نسبة عالية من الدخل القومي ، كما ان هذه التجارة تفتقد التنوع من حيث انواع السلع الداخلية فيها، اذ يسود التخصص المتطرف في السلع الاولية وغالبا ما يكون في سلعة وحيدة (كالبترول)، او عدد محدود جدا من السلع ، كما ان هيكل التنوزيع الاقليمي لهذه التجارة يتسم بعدم التوازن وبالتركز، فحوالي ٧٥٪ من تجارة العالم الثالث يتم مع الدول الرأسمالية المتقدمة ، وحوالي ٥٪ منها مع مجموعة الدول الاشتراكية ، وحوالي ٢٠٪ فيما بين دول العالم

Digitized by Birzeit University Library

الثالث ذاتها (١٣). ومما يزيد الامر سوءا ان هذه التجارة ، بالنسبة لكل بلد من بلدان العالم الثالث، غالبا ما تتسم بالتركز في سوق وحيدة ، او عدد محدود جدا من الاسواق.

وعلى النقيض من الصورة السابقة ، فان الهياكل الاقتصادية للدول الرأسمالية المتقدمة تتسم باكتمال بنيانهاالاقتصادي وتنوعه ، مما يعني تمتعها بدرجة عالية من التكامل الاقتصادي الذاتي ، واعطاء التقدم الاقتصادي بها طابعا تراكميا، كما ان هذه الهياكل تتسم تبعا لذلك بالمرونة وسيادة القطاع الصناعي بخصائصه الديناميكية حتى في تلك الدول التي تتخصص في تصدير السلع الاولية (١٤) اذ يتسم هيكل تجارتها الخارجية بالتنوع السلعي، بحيث لا تشكل اي سلعة سوى اهمية نسبية صغيرة الى اجمالي التجارة الخارجية كما ان التنوزيع الاقليمي لهذه التجارة يتسم بالتوازن والاتساع.

(٢)

موقع التبادل اللامتكافىء في الاطار الراهن للعلاقات الاقتصادية الدولية

٢-١ علاقات السيطرة / التبعية :

على امتداد التاريخ ، كان هنالك على المستوى الدولي ، نمطين للعلاقات السياسية والاقتصادية بين الدول ، النمط الاول يتمثل في قيام العلاقات الدولية بين اطراف مستقلة ومتكافئة القوى... وفي هذه الحالة تنتفي السيطرة والتبعية فيما بينهما، والنمط الثاني قيام العلاقات الدولية على اساس السيطرة / التبعية (١٥) وهذه حالة تسود بتوافر احد شرطين او كليهما، وهما : افتقاد احد الاطراف لاستقلاله السياسي، وبالتالي خضوعه السياسي للطرف الاخر ، ومن ثم تحكم الطرف المسيطر على كافة مقدرات الطرف الاخر السياسية والاقتصادية ... الخ وهنا فان حالة "السيطرة/ التبعية" السياسية ، تهيء الامكانية والشرط الموضوعي لقيام علاقات "السيطرة/التبعية" في المجال الاقتصادي . اما الشرط الثاني ، فهو اختلاف وتفاوت القوى والقدرات بحيث يحقق احد الاطراف (دولة او مجموعة دولية) تفوقا حاسما في قواه وقدراته وانتقاله الى حالة نوعية ارفع من حالة الطرف الاخر، وهنا لا بد من التأكيد، على ان مجرد اختلاف الاوضاع والقدرات النسبية ، مع المحافظة على نفس المستوى العام (الحالة الكيفية) من القوة والقدرات،لا يفضي الى ظهور علاقات "السيطرة/التبعية"... وهذا الشرط، هو الاساس الموضوعي لوجود علاقات السيطرة/التبعية ، في الفترة الراهنة فيما بين الدول ، بعد ان اصبح من الصعب تحقق الشرط الاول... على ان هذا لا ينفي بعض الحالات التي ترتبط بالشرط الاول، مثل الوضع في الاراضي العربية المحتلة من قبل اسرائيل عام ١٩٦٧، حيث استثمرت اسرائيل سيطرتها العسكرية على هذه الاراضي ، وصاغت علاقات "السيطرة/التبعية" في المجال الاقتصادي مع هذه المناطق.

وعلاقات "السيطرة/التبعية" نمط فريد من الروابط بين الدول ، حيث يندمج بمقتضاها الاقتصاد التابع كليا في هيكل الاقتصاد المسيطر، ويفقد بذلك مقومات التطور المستقل، وفي ظل هذا النمط من الروابط الدولية ، فان اقتصاد المسيطر - سواء كان اقتصاد دولة او مجموعة

Digitized by Birzeit University Library

دولية - يملك من القدرة على التاثير في الاقتصاد التابع ، ما لا يملك هذا الاخير دفعا له... والتطور هي حالة من فقدان الذات، فقدان القدرة على الحركة والتوازن والتطور المستقل... ذلك ان علاقات"السيطرة/التبعية" تتضمن وتعني درجات غير متكافئة من الاعتماد المتبادل والتأثير، فبينما يعتمد الاقتصاد المسيطر جزئيا على الاقتصاد التابع، فان الاخير يعتمد على الاقتصاد المسيطر ، اعتمادا شبه كامل، وبينما يملك الاقتصاد المسيطر قدرة عالية من التأثير في الاقتصاد التابع ، فان تأثير الاخير في الاقتصاد المسيطر يكون هامشيا (١٦).

وعلى الرغم من ان علاقات "السيطرة/التبعية" المعاصرة هي ذات بعد سياسي، الا ان هذا البعد يختلف عن الشرط الاول... ومن الممكن التقدير بان العامل الجوهري في وجود واستمرار ، بل تفاقم وتكريس، هذا النمط من العلاقات الدولية ، في الفترة المعاصرة ، خاصة بعد حصول المستعمرات والتوابع السياسية على استقلالها السياسي عقب الحرب العالمية الثانية، انما يعود الى العامل الذي نوقش في الشرط الثاني ، وهي عوامل ومقومات اقتصادية ، تدعمها وتعمق من آثارها الابعاد السياسية.

وتتمثل ابرز جوانب علاقات السيطرة/التبعية ، السائدة ما بين دول العالم الثالث والدول الرأسمالية المتقدمة في النواحي التالية :

١- في مجال الانتاج :

حيث تعتمد الاقتصادات المتخلفة لدول العالم الثالث، على الدول الرأسمالية المتقدمة، سواء في استيراد مستلزمات الانتاج من سلع رأسمالية ووسيطة وتقنية حديثة او في تصريف الناتج... هذا عدا عن الاعتماد المتزايد على الدول الرأسمالية المتقدمة في مجال تمويل الاستثمارات... فاذا اخذنا احد عناصر رأس المال الاجنبي - الديون - فاننا نجد انه طبقا لارقام عام ١٩٧٠ ، كان هنالك دولا تجاوزت فيها جملة الديون الخارجية المستحقة عليها اجمالي الناتج المحلي فيها (١٧)... وارتفاع نسبة رأس المال الاجنبي الى رأس المال القومي ، لا يهدد فقط الاستقلال الاقتصادي لدول العالم الثالث، واما - وهذا هو الاهم - يتحكم في اتجاهات تطورها الاقتصادي بما يخدم مصالح الجهات الممولة ، ومن ثم يؤدي الى ترسيخ علاقات السيطرة/التبعية ... وفي الوقت الذي ازدادت اهمية وتأثير الدول الرأسمالية المتقدمة في مجال الانتاج في دول العالم الثالث، فان اهمية وتأثير (دور) العالم الثالث في حركة الانتاج الرأسمالية للدول المتقدمة قد تضاءلت (١٨).

٢- في مجال التبادل والتجارة الدولية :

وفي هذا المجال ، فان علاقات السيطرة/التبعية تأخذ المظاهر التالية :

أ) ارتفاع نسبة التجارة الخارجية الى الدخل القومي مع تركزها السلعي والجغرافي (بالنسبة لدول العالم الثالث)... ذلك ان مجرد ارتفاع نسبة التجارة الخارجية الى الدخل القومي، لا يؤدي الى السيطرة والتبعية ما لم يكن مقترنا بالتركز السلعي والجغرافي.. اي التخصص المتطرف في تصدير سلعة وحيدة او عدد محدود من السلع الى سوق وحيدة او عدد محدود من الاسواق... والتجارة الخارجية لدول العالم الثالث تعاني من هذه المظاهر جميعها.. اذ ان ٧٥٪ من تجارة العالم الثالث تتم مع الدول الرأسمالية المتقدمة (١٩) "كما اوضحت الدراسات ان اكثر من نصف البلاد المتخلفة اقتصاديا ترتفع بهانسبة الصادرات من السلع والخدمات لاجمالي الناتج المحلي الى اكثر من

Digitized by Birzeit University Library

٥٥٪، وذلك في الفترة بين ١٩٦٥ - ١٩٧٥ كما تبين ان اكثر من ثلاثين بلدا تعتمد على سلعة واحدة للحصول على نصف حصيلة صادراتها والتي تمثل ما يقارب من ٣٠٪ من اجمالي صادرات البلاد المتخلفة"(٢٠)... وبالاضافة الى ما سبق ، فانه في الوقت الذي تتجه تجارة العالم الثالث نحو التركيز في اتجاه الدول الرأسمالية المتقدمة فان تجارة الدول الرأسمالية المتقدمة تأخذ اتجاه يتضاءل فيه الوزن النسبي لنصيب دول العالم الثالث في هذه التجارة، ومن ثم بينما يزداد اعتماد دول العالم الثالث على الدول الرأسمالية المتقدمةفي مجال التجارة فان اعتماد الدول الرأسمالية المتقدمة على دول العالم الثالث في هذا المجال يتجه نحو التضاؤل.

ب) سيطرة الدول الرأسمالية المتقدمة على السوق العالمي، بتنظيمها الاحتكاري من خلال احتكاراتها فوق القومية العملاقة، وتحكمها في تحديد اثمان الصادرات الرئيسية لدول العالم الثالث، وافتقاد هذه الدول في اغلب الاحوال للوسائل الكفيلة بمواجهة هذا الوضع.

٣ - في المجال النقدي والمالي :

يمثل نظام المدفوعات الدولي الراهن، الشكل الخاص الذي تضمن به الدول الرأسمالية المتقدمة بقاء السياسات النقدية لدول العالم الثالث خاضعة الى حد كبير لمصالحها وبخاصة بعد انفصال عدد كبير من دول العالم الثالث عن المناطق النقدية للدول الاستعمارية، (٢١) على ان اهم واخطر مظاهر التبعية النقدية لدول العالم الثالث تجاه الدول الرأسمالية المتقدمة، ان النسبة الكبرى من غطاء الاصدار النقدي لعملات الدول المتخلفة في العالم الثالث، تتمثل في العملات القوية للدول الرأسمالية المتقدمة، عدا عن ارتفاع نسبة هذه العملات وبشكل متزايد في الاحتياطات ووسائل الدفع الدولية، التي تحتفظ بها دول العالم الثالث، ففي عام ١٩٧١ كان "الجزء الرئيسي للاحتياطيات الدولية لمجموعة الدول المتخلفة يتمثل في العملات الاجنبية ، اذ وصل النصيب النسبي لهذا الجزء الى ٧٥٪ من جملة مكونات السيولة لهذه الدول"(٢٢) ومما يزيد من حراجة الوضع بالنسبة لدول العالم الثالث ضآلة نصيبها من الاحتياطيات ووسائل الدفع الدولية وسيطرة الدول الرأسمالية المتقدمة وتحكمها في ادارة وتمديد سياسات المؤسسات النقدية الدولية.

وهكذا ، وبهذه الابعاد المتعددة لعلاقات "السيطرة/التبعية" التي تربط دول العالم الثالث، بالدول الرأسمالية المتقدمة، والتي تمثل جوهر الاطار الراهن للعلاقات الاقتصادية الدولية، والذي يشمل بصفة اساسية هاتين المجموعتين الدوليتين، فان العلاقات الاقتصادية الدولية - بوضعها الراهن - تمثل منفذا لنهب واستنزاف اقتصادات العالم الثالث، والمصادرة على امكانيات نموها..." فمن التبعية والاستغلال ينتج تجميد اقتصادات البلاد المتخلفة، ومن تجميد اقتصادات البلاد المتخلفة ، ومحاولة تجميد مجتمعاتها ككل، يتم تكريس الفقر فيها بينما يزداد الرخاء في الدول الرأسمالية المتقدمة خاصة "(٢٣).

وهذا يؤدي بنا الى مناقشة اشكال الاستنزاف والاستغلال التي مارستها او تمارسها الدول

Digitized by Birzeit University Library

المراجع والهوامش :

(١) انظر كل من : د.جواده عبد الخالق، مدخل الى الاقتصاد الدولي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨ ص ٧ ، د. فوزي منصور ، محاضرات في العلاقات الاقتصادية الدولية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ٧١/١٩٧٢ ص ١٠٣ .

(٢) د.جوده عبد الخالق ، مرجع سابق ، ص٧ .

(٣) د.فؤاد مرسي ، التخلف والتنمية: دراسة في التطور الاقتصادي ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٥١ .

(٤) محمد عبد الشفيع، قضية التصنيع في اطار النظام الاقتصادي العالمي الجديد ، دار الوحدة ، بيروت ١٩٨١، ص ٥٦ .

(٥) د. جوده عبد الخالق ، مرجع سابق ، ص ٨١ .

(٦) د. فوزي منصور ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

(٧) انظر فؤاد مرسي . مرجع سابق ، ص ٦٩.

(٨) د. فوزي منصور ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

(٩) المرجع السابق.

(١٠) المرجع السابق ،ايضا محمد عبد الشفيع ، مرجع سابق.

(١١) د.حمدية زهران ، التنمية الاقتصادية ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ١٩٢، د. سلوى جبر حسن ، التنمية الاقتصادية ، القاهرة ،١٩٧٩ ، ص ٢٢٥ .

(١٢) المراجع السابقة ذات الصفحات.

(١٣) د.رمزي زكي ، ازمة الديون الخارجية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٤٠١ .

(١٤) د. عمر محي الدين ، التخلف والتنمية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص ٨٤.

(١٥) محمد عبد الشفيع، مرجع سابق ، ص ١٣٧.

(١٦) انظر بهذا الصدد د.سلوى جبر حسن ، مرجع سابق ، ص ٢٧٨ ، (١٧) د. رمزي زكي ، مرجع سابق ، ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ .

(١٨) محمد عبد الشفيع ، مرجع سابق، ص ٢١٣ .

(١٩) د.رمزي زكي ، مرجع سابق ، ص ٤٠١ .

(٢٠) د. حمدية زهران ، مرجع سابق ، ص ٢٧٦ .

(٢١) د. رمزي زكي ، مرجع سابق ، ص ٤٣٨ .

(٢٢) المرجع السابق ص ٤٤١ .

(٢٣) محمد عبد الشفيع ، مرجع سابق ، ص ٢١٥ .

Digitized by Birzeit University Library

منظمة التحرير الفلسطينية : التاريخ والاستراتيجيات

عرض ومراجعة : الدكتور عبد القادر حسين ياسين

كثيرة هي الكتب التي تتناول الصراع العربي - الصهيوني في مجمله او المقاومة الفلسطينية في تطورها. لكن الدراسات التي تنصب في الاساس على منظمة التحرير الفلسطينية وعلى تاريخها السياسي هي ، في الحقيقة ، قليلة ان لم تكن نادرة . ولهذا يكتسب كتاب "منظمة التحرير الفلسطينية : التاريخ والاستراتيجيات" للدكتور "الان جريش" ، احد ابرز الصحفيين الفرنسيين..الخ واكثرهم تعاطفا مع النضال الفلسطيني ، اهمية خاصة . والكتاب ، في الاصل ، اطروحة نال بها المؤلف درجة الدكتوراه من جامعة باريس ، وصدر مؤخرا عن منشورات "سياج" الفرنسية.

يقول المؤلف ان دراسته انصبت على متابعة اشكاليات الفكر والممارسة داخل منظمة التحرير الفلسطينية في الاساس ، لان المنظمة يتأكد وضعها باعتبارها القوة الفلسطينية الرئيسية . نحن ، اذن ،امام مرحلة في فكر منظمة التحرير الفلسطينية وسياستها منذ تأسيسها في شهر ايار (مايو) ١٩٦٤ . في تلك المرحلة الطويلة واجهت المنظمة ايضا اختيارات سياسية جديدة ومعقدة ، اثرت في تطور فكرها وممارستها : فمن القضاء على الدولة اليهودية ، الى الموافقة على اقامة دولة فلسطينية على جزء من فلسطين ، مرورا بشعار الدولة الديمقراطية التي يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود . من الرفض الكامل للكيان الصهيوني والاعتراف الواقعي باسرائيل .

من نافلة القول انها مسيرة صعبة ومعقدة اجتازتها الحركة الوطنية الفلسطينية . اتخذ المؤلف نقطة الانطلاق لدراسته حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ ، التي يعتبرها المؤلف "نقطة تحول بارزة" . فالشعب الفلسطيني ، لاول مرة منذ ثورته الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩) ينبثق كعامل مستقل على الساحة العربية . لقد ادى احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة الى تحول الصراع العربي - الاسرائيلي ، شيئا فشيئا ، الى صراع فلسطيني - اسرائيلي . وتخلصت المقاومة الفلسطينية جزئيا من الوصايات الخارجية . وكان عليها ان تحدد اهدافها ، فيما يتعلق بمستقل الاراضي التي تناضل من اجل تحريرها من الاحتلال .. والتي ستقيم عليها دولتها المستقلة .

ويتابع المؤلف التحول الذي حدث في منظمة التحرير الفلسطينية ، في الفترة الواقعة بين حزيران ١٩٦٧ والدورة الثامنة للمجلس الوطني الفلسطيني (اذار ١٩٧١) . ان المنظمة التي ظهرت الى الوجود باستراتيجية الانظمة العربية اصابها ما اصاب تلك الانظمة بهزيمة حزيران ١٩٦٧ . وكانت استقالة السيد احمد الشقيري ، الرئيس الاسبق للمنظمة ، في نهاية العام تجسيدا

Digitized by Birzeit University Library

لهذه الازمة .

عندما نشأت منظمة التحرير الفلسطينية كانت "عروبة" القضية الفلسطينية هي الاسس . وكانت الوحدة العربية شرطا لتحرير فلسطين . والميثاق الوطني الفلسطيني الصادر في ايار (مايو) عام ١٩٦٤ لا يتضمن اية اشارة الى الدولة الفلسطينية ، وحتى فكرة السيادة الفلسطينية ، ودور منظمة التحرير الفلسطينية لم يكن واردا . ولم يكن ذلك مجرد قصور في فكر بعض قادة المقاومة الفلسطينية في ذلك الحين . بل كان ايضا ، وربما في الاساس ، تعبيرا عن مصالح الانظمة العربية التي اقتسمت ما تبقى من فلسطين ، وحالت دون استقلالية الحركة الوطنية الفلسطينية .

والدكتور جريش ، مؤلف الكتاب ، ينسب الفضل لحركة "فتح" ، ويصف موقفها في قضية العلاقة بين العمل العربي والعمل الفلسطيني بالاصالة . ففي نهاية عام ١٩٥٩ بدأت فتح باعلان توجهاتها، وان لم تكن باسمها الصريح في ذلك الحين . وكانت الفكرة الرئيسية التي طرحتها هي ان تحرير فلسطين هو ، اساسا ، قضية فلسطينية ، ولا يمكن ان يعهد به الى الدول العربية . وفي افضل الاحوال ، فان في وسع الانظمة العربية ان تمد الفلسطينيين بالعون والحماية ، وان تساهم - ان سنحت الفرصة - في النضال بجيوشها التقليدية . وقدمت حرب الجزائر مثالا حيا في هذا المجال ، وكانت الخطورة الهامة التي اقدمت عليها فتح بعد ذلك هي بدء العمليات العسكرية ضد اسرائيل ، مؤكدة طريق الشعب الفلسطيني المستقل والمسلح .

وكان لا بد من الانتظار حتى العام ١٩٦٨ (حين عقد المجلس الوطني الفلسطيني الرابع) لتعديل ميثاق المنظمة ولوائحها وقيادتها . ثم جاءت مرحلة ١٩٧٠ - ١٩٧١ لتتبنى المنظمة رسميا شعار الدولة الديمقراطية . هذا التحول البارز وضع اسس شعار واستراتيجية الدولة الفلسطينية الديمقراطية ، وما ارتبط به تمييز واضح لا لبس فيه بين الصهاينة واليهود . كما ينسب المؤلف لحركة فتح ايضا انها هي التي بدأت في صياغة شعار الدولة الديمقراطية . فهو يقول ان الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين اسهمت في تطوير هذا الشعار . فقد تقدمت بمشروع قرار قدم للمجلس الوطني السادس ينص احد بنوده على اقامة دولة ديمقراطية للعرب واليهود حيث يتمتعون فيها بنفس الحقوق والواجبات .

وعبر الدرب الطويل ، والمعاناة والتجربة والصراع داخل المنظمة ومع بعض الانظمة العربية قبلت المنظمة عام ١٩٧٤ بعد اقامة "سلطة وطنية على اي جزء يتم تحريره" من فلسطين .

والكتاب لا يقف عند هذه التجارب الخصبة والرائدة لمنظمة التحرير الفلسطينية في تحديد شخصيتها الفلسطينية واهدافها المرحلية والاستراتيجية ، وانما يتابع اخر التطورات في المنطقة من كامب ديفيد الى غزو بيروت . ومن مشروع فهد الى مشروع ريغان ومقررات قمة فاس . واستند المؤلف الى المئات من المراجع العربية والاجنبية وقام بزيارات كثيرة الى دول المنطقة ، حيث اجرى مناقشات مع العديد من الزعماء الفلسطينيين .

وبالاضافة الى دراسته للنصوص السياسية فقد درس "الممارسة السياسية" للمنظمة . فكما هو الحال مع كل المنظمات السياسية ، يوجد تفاوت بين هذه الممارسة وبين النصوص التي تسترشد بها ، الا انه يلاحظ ان هذا التفاوت يزداد بالنسبة للمنظمة . ولهذا اولاه العناية اللازمة . في مقدمة الكتاب التي كتبها مكسيم رودنسون، يقول المفكر الفرنسي الكبير :" ان كتاب جريش يستحق الاهتمام والدراسة . فكل من يشغله الصراع العربي - الاسرائيلي ويود مخلصا ان يعرف ابعاده قبل ان يصدر الاحكام القاطعة عليه ان يقرأ هذا الكتاب" ولا يسعنا الا ان نمنح موافقتنا.

Digitized by Birzeit University Library

"جرائم النساء"

د. محمود عقل*

تعتبر دراسة الجريمة ، دوافعها وانماطها ، طرق الوقاية منها وعلاجها ، من اعقد الالغاز التي شغلت فكر الانسان ، وتحدث عقول الباحثين في الامم المتحضرة وغير المتحضرة عبر التاريخ البشري الطويل. ولا تزال الدوافع الحقيقية للظاهرة الاجرامية موضع الاهتمام ومثار الجدل ، وما زال التباين في وجهات النظر حيالها اكثر منا لاتفاق والتشابه.

ولقد راودت فكرة الارواح الشريرة اجدادنا الاوائل ، واعتقدوا ان المذنب مسكون بروح شياطين لا تفارقه الا بالضرب الشديد والعقاب الجسدي القاسى ، واخذ المشرفون عل ادارة اجهزة العدالة التفنن في اساليب تعذيب المجرمين لتطهيرهم من ارواح الشياطين التي تسكنهم. ومن الطبيعي الا تكون المرأة اوفر حظا من الرجل انذاك ، كيف يكون ذلك وهي الاقرب الى الشيطان طبيعة في نظرهم ، انها الانثى التي تحدثت عنها الكثير من الروايات ، ووصفتها بالمكر والخداع ، بالغواية والفتنة ، تصنع الشر ان لم تكن الشر نفسه ، فهي في رأيهم ناعمة المظهر خشنة المخبر. كما صورتها العديد من الثقافات السابقة.

ونظرا للتقدم الذي احرزته العلوم الاجتماعية بشكل عام ، وعلم الاجرام criminology بشكل خاص ، اخذت اعداد الباحثين والمتخصصين تفحص اتجاهات السلف في تفسير الجريمة ، وتؤكد عل وجوب عدم التسليم بامور غيبية يصعب اختبارها ودراستها. ولم يفت هؤلاء ان يتنبهوا الى دراسة جرائم النساء ، دوافعها وانماطها ، جنبا الى جنب مع جرائم الرجال ، في محاولة جادة لفهم طبيعة الانسان ذكرا كان ام انثى ، والوقوف عل القوى التي تدفعه للانحراف او الامتثال.

ولا يعدو هذا البحث عن كونه محاولة متواضعة تلقي بعض الضوء على جرائم الجنس اللطيف، جرائم المرأة.

تفيد الدراسات المتعلقة باجرام كل من الذكور والاناث ان نسبة الذين يلقى القبض عليهم من المنحرفين الذكور اعلى بكثير من نسبة اللواتي يلقى عليهن القبض من المنحرفات الاناث فيما يتعلق بكل انماط السلوك الانحرافي باستثناء جرائم البغاء والاجهاض وقتل المواليد. وفي الولايات المتحدة تشير الاحصائيات الى ان معدل من يلقى القبض عليهم من المجرمين الذكور

* استاذ مساعد ورئيس قسم علم الاجتماع - جامعة النجاح الوطنية - نابلس

Digitized by Birzeit University Library

يبلغ ثماني مرات اكبر من معدل القاء القبض على الاناث ، وفي ايطاليا تدل احصائيات السنوات ١٩٢٥ وما بعدها على ان عدد الجرائم المرتكبة من قبل الذكور بلغ خمسة اضعاف ما ارتكبته الاناث من جرائم بشكل عام ، وفي بلجيكا بلغ اجرام الرجال ستة اضعاف اجرام النساء"!".

ويرى العالم البلجيكي كتلين ان اسبابا جسمانية ونفسية واجتماعية تجعل اجرام النساء اقل بكثير من اجرام الرجال. فمن الناحية الجسمانية تعتبر المرأة اقل مقدرة من الرجال ، وهذا يمنعها من ارتكاب جرائم العنف التي غالبا ما تتطلب جهدا عضليا. ومن الناحية النفسية ، يرى كتلين ان المرأة مقيدة بمشاعر الطيبة والحياء ، واما من الناحية الاجتماعية فلا شك انها اقل حركة ونشاطا من الرجل ، وان اقتصار نشاط النساء في كثير من الاحيان داخل المنزل يزيد من تبعية المرأة للرجل وبذلك تصبح اقل حرية في اخذ زمام المبادرة مما يقلل من احتمالات مخالفاتها واجرامها "؟".

ويذهب فريق اخر من المتخصصين في هذا المجال ، الى انه من الصعوبة بمكان الفصل بين اجرام الذكور واجرام الاناث ، لان الرجل الذي يقترف جريمة ما،غالبا ما يكون قد فعل ذلك من اجل المرأة سواء بتشجيع مباشر منها او غير مباشر ، اذ لا بد وان يكون لها دور في ذلك ، فهي قد تكون زوجة او صديقة..الخ ولا يجب ان يغيب عن البال الدور الذي تلعبه طبيعة المرأة بانوثتها او جمالها ، بادبها او ذكائها ، فهي قد تكون من بين العوامل المساعدة لجرائم الذكور ، لانها تستطيع ان تخفي السلاح او تنقل المخدرات ، او تقوم بالتجسس على افراد عصابة ما او رصد تحركات البوليس ، الى غير ذلك من الاعمال ، وان تبقى في الوقت ذاته بعيدة عن ادوار المواجهة في كثير من الاحيان.

هذا ولئن كانت مقدرة المرأة الجسمانية تمنعها بالطبع من الانخراط في جرائم تتطلب القوة البدنية والعنف ، الا ان ذلك لا يمنع من ارتكابها لجرائم تتطلب الذكاء والدهاء ، اكثر من استخدام القوة العضلية مثل السم والتزوير والنشل. ومن العوامل التي يمكن ان تفسر ارتفاع معدلات جرائم الذكور عن الاناث بشكل عام ما يلي:(٣)

١. الدور الذي تقوم به الانثى منذ طفولتها اكثر تحديدا من دور الذكر. يطلب من الفتاة منذ السنوات الاولى من عمرها ان تكون مطيعة هادئة متزنة ، وهي غالبا ما تلازم امها وتكون مشغولة باعمال البيت. وتكون فرصة خروجها وحيدة واختلاطها مع الاخرين قليلة اذا ما قورنت بالفرص المتاحة للطفل الذكر الذي غالبا ما يلازم والده معظم الوقت. وهذا يعني ان الدور الذي يرسمه المجتمع ويحدده للانثى يكون اقل تشجيعا على الانحراف، كما انه يعطي فرصة اقل للانخراط في انماط سلوكية معادية للاخرين.

٢. الحماية التي تتلقاها الاناث غالبا ما تكون اكثر من الحماية التي يتلقاها الذكور. حيث يميل الناس بشكل عام الى مساعدة المرأة اكثر من مساعدة الرجل وخاصة في الحالات الضرورية ، وهنالك في كثير من الدول جمعيات وهيئات اجتماعية وخاصة في المدن الكبرى اسست خصيصا لتقديم العون للاناث.

٣. فرص العمل المتاحة للمرأة غير المدربة فنيا تكون عادة اكبر من فرص العمل المتاحة للرجل الذي ينقصه التدريب الفني. انه ولئن كان من الصعب تعميم ذلك على كل المجتمعات ، الا انه تتوفر للمرأة غير المدربة تدريبا فنيا عاليا فرصا للعمل اكثر من مثيلها الرجل ، ومثل هذه الفرص تلك التي تمتاز بالاجور المتدنية نسبيا والتي تناسب الانثى اكثر من الذكر ، كالعناية بالاطفال اثناء غياب الام العاملة ، والخادمات ، والاشراف على المسنين والعجزة في البيوت ، وغير ذلك. وهذا يؤدي بدوره الى انتشار البطالة

Digitized by Birzeit University Library

بين الرجال غير المؤهلين اكثر من انتشارها بين نفس النمط من النساء مما يؤدي الى ارتفاع معدلات الجرائم عند الذكور لتأمين الدخل ، علاوة على ان عمل المرأة غالبا ما يكون عاملا مساعدا في دعم اقتصاد الاسرة مما يجعلها تقبل بوظيفة اقل اجرا قد لا يقبل الرجل القيام بها.

٤. يأخذ الرجل زمام المبادرة اكثر من المرأة في مواقف المواجهة . في الوقت الذي تحاول الانثى جهدها الانسحاب وعدم تصعيد التصرفات المؤدية الى ردود افعال متتالية وعنيفة وخاصة في مواقف المواجهة مع البوليس ، يميل الرجال الى عكس ذلك وخصوصا اذا كانوا مصطحبين صديقاتهم او زوجاتهم ، وعندما يسأل البوليس عن مخالفة ارتكبتها المرأة يسارع الرجل المرافق باستعداده لتحمل المسؤولين وافهام البوليس انه هو الذي فعل ذلك ، وقد تتردد المرأة في توجيه كلمة نابية في مثل هذه المواقف سواء للبوليس او سواه ، في حين لا يتردد الرجل كثيرا في الانخراط في تصرف عدواني عنيف. ويبدو ان الرجل يفترض ان حماية المرأة التي ترافقه هي من مسؤولياته مهما كلف الامر ، مما يؤدي الى زيادة فرص انخراط الرجال في اعمال غير امتثالية.

٥. نظرة الناس المختلفة لتصرفات كل من الذكور والاناث(٤) نادراما تفسر تصرفات المرأة على انها تهديد للاستقرار الاجتماعي والنظام العام حتى من قبل اجهزة الضبط الاجتماعي في كثير من الاحيان. فالمرأة على سبيل المثال التي تمسك مكبرا للصوت وتخطب امام حشد من الناس ، لا تشكل خطرا على النظام العام بنفس الدرجة التي ينظر فيها الى الرجل اذا وجد في الموقف ذاته. وفي كثير من الثقافات يعتبر تقديم شكوى ضد النساء واحضارهن الى البوليس منافيا لقيم المجتمع وعاداته وتقاليده. والبوليس نفسه في كثير من الاحيان يستجيب لتصرفات النساء بشكل مغاير لاستجابته لنفس التصرفات حين تصدر عن الرجال ، فالاساليب التي يستخدمها في تفريق مظاهرة احتجاج نسائية غير الاساليب المستخدمة مع الرجال ، واحتمال استجواب رجل يمشي في ساعة متأخرة من الليل والنظر اليه كشخص خطير او له علاقة بأمر مشبوه ، اكثر من احتمال حدوث ذلك مع امرأة.

ولقد اوضح بولاك(٥) Otto Pollak وهو احد المتخصصين في دراسة السلوك الاجرامي للمرأة ، اوضح انه من الصعوبة بمكان حصر وتسجيل انماط اجرامية معينة خاصة بالمرأة وذلك لطبيعة هذه الجرائم والجو الذي تتم فيه واحاطتها بالسرية التامة والكتمان وصعوبة اقامة ادعاء ضدها ، ومثل ذلك القتل بالسم ، واهمال الاطفال حتى الموت من المرض او الجوع ، والقاء اللقطاء في الشوارع - والجرائم المتعلقة بالاجهاض. ولقد اورد بولاك قائمة من الجرائم التي يمكن اعتبارها خاصة بالنساء والتي يصعب ان تتضمنها التقارير الرسمية لصعوبة اقامة الدليل ، وهي كما يلي.

١. السرقات التي تقوم بها الاناث الخادمات: ما من شك في ان الخادمة تكون على علم تام بكل ما يدور داخل المنزل الذي تعمل فيه ، وبعد فترة وجيزة تفهم جو الاسرة التي تقوم بخدمتها ، ويحدث احيانا ان تقوم الخادمة بسرقة اموال نقدية او على شكل مصاغ وحلي ذهبية ، وفي مثل هذه الحالات تكتفي الاسرة بطرد الخادمة دون اللجوء الى القضاء ، اما لصعوبة اقامة الدليل ، او لعدم مضيعة الوقت ، او شفقة على احوال الخادمة نفسها ، او لعدم ملاءمة ذلك مع منزلة الاسرة الاجتماعية"٦".

٢. السرقات التي تقوم بها النساء اللواتي يحترفن البغاء.يتردد الرجال الذين يتعرضون لحوادث السرقة من قبل النساء اللواتي يمارسن البغاء في تقديم الشكاوي للجهات المختصة ، لان مثل هذه الامور تسيء الى سمعتهم ومنزلتهم ،

Digitized by Birzeit University Library

وسواء كان الرجل الضحية على علاقة حقيقية بالبغايا ام لا ، فانه نادرا ما تصل مثل هذه الحوادث الى مسامع اجهزة العادلة.

٣. ابتزاز الاموال بالتهديد : يحصل احيانا ان تقوم بعض النساء بتهديد بعض الرجال ، وخاصة الاثرياء منهم وذوي المراكز الاجتماعية الرفيعة ، بانها ستعلن انها على علاقة جنسية معه اذا لم يدفع لها مبلغا من المال. ومثل هذه الجرائم نادرا ما تحدث في مثل مجتمعنا الذي نعيش فيه ، وغالبا ما تحدث في المجتمعات الغربية والتي وصلت حدا متطرفا فيما يتعلق بزعزعة القيم الاجتماعية وخلل اجهزة الضبط الاجتماعي غير الرسمية.

٤. الاجهاض. يعتبر الاجهاض من الجرائم التي ترتكبها النساء دون مبررات صحية او ضرورات جسمانية في كثير من الاحيان ، ولقد دلت الاحصائيات المتعلقة بالاجهاض في الولايات المتحدة ان النساء الامريكيات يرتكبن حوالي ٢٠٠ الف جريمة اجهاض كل سنة(٧).

٥. جرائم الشذوذ الجنسي. ومثل ذلك ما تقوم به بعض النساء اللواتي يتصفن بشذوذ جنسي من غواية بعض الافراد الذين ما زالوا في مرحلة المراهقة ثم ما تقوم به بعض النساء من ممارسات شاذة مع مثيلات لهن Homosexuality

٦. جرائم نقل المخدرات : كثيرا ما تستغل المرأة انوثتها والدور الذي يرسم لها المجتمع في عملية نقل المخدرات عبر الموانيء والمطارات وغيرها من مراكز الحل والترحال.

يتضح مما سبق ان نسبة كبيرة من اجرام النساء لا تدخل ضمن الاحصاءات الرسمية ، مما يجعل حركة اجرام المرأة الفعلية تختلف عن حركة اجرامها الظاهرة. ويبدو كذلك ان اجهزة الضبط الاجتماعي وخاصة الرسمية منها ، اخذت تعيد النظر في سياستها تجاه اجرام الجنس اللطيف ، اذ تشير الدلائل الى ان البوليس اصبح اقل ترددا في القاء القبض على النساء المشبوهات واللواتي يتسترن وراء انوثتهن ، كما ان اجهزة البوليس في معظم بلدان العالم اخذت تدخل نساء عاملات في مراكزها المختلفة ، ولقد ورد على لسان مفتش بوليس واشنطن العاصمة قوله.

"في الماضي كنا لا نهتم كثيرا في القاء القبض على النساء ، وكانت التعليمات التي يتلقاها الافراد تنص على عمل ما في وسعهم لتجنب القاء القبض على النساء ،ولكن اصبح الوضع مختلفا الان ، حيث بلغت نسبة النساء اللواتي القي القبض عليهن في المظاهرات مثلا ٥٠٪ من مجموع من تم القاء القبض عليهم ، انه الان اصبح لا يوجد عندنا فرق كبير بين القاء القبض على رجل او امرأة"(٨).

ولقد افادت التقارير الرسمية ان نسبة النساء اللواتي القي القبض عليهن يومي ٦،٤ نيسان عام ١٩٦٨ على اثر مظاهرة احتجاج على مقتل مارتن لوثر كنج، قامت في العاصمة الامريكية ، كانت مرتفعة جدا. وان معظم التظاهرات افدن بانهن اشتركن في المظاهرة لانهن تصورن ان البوليس لا يمكن ان يلقي القبض عليهن من ناحية وانهن رأين ازواجهن واصدقاءهن قاموا بذلك ففعلن مثلهم

ولقد جرت محاولة لتحديد الصفات العامة التي تمتاز بها المرأة المجرمة في الولايات المتحدة كما يلي (٩):

١. شابة في اوائل العشرينات من العمر.
٢. غير متزوجة او انها لا تعيش مع زوج.
٣. غير عاملة او انها تعمل باجر زهيد جدا.
٤. لم يسبق وان دخلت اي مركز من مراكز التأهيل من قبل .

والجدول الاحصائي التالي بين مجموع الحالات التي تم فيها القاء القبض على الذكور والاناث فيما يخص عدد من الجرائم في الولايات المتحدة من عام ٧٢ - ٧٦:

Digitized by Birzeit University Library

نوع الجريمة	ذكور العام ١٩٧٢	ذكور العام ١٩٧٦	اناث العام ١٩٧٢	اناث العام ١٩٧٦
حمل السلاح واستخدامه	٧٧ر٢١١	٨٧ر٥٢٤	٦ر٣٠٧	٧ر٩٩٠
السطو	٢٠٤ر٥٦٩	٢٩٩ر٦٢٨	١٠ر٦٨٥	٧١ر٠٦٨
سرقة السيارات	٧٦ر٨٥٦	٧٧ر٩٣٥	٤ر٧٢٤	٦ر٠٩٨
جرائم العنف (قتل،قطع الطرق،ضرب شديد)	١٧٢ر٤١٥	٢٢٥ر٧٤١	١٩ر٥٧٩	٢٦ر٨٦٤
البغاء/رذائل تجارية	٨ر٣١٨	١٤ر٣٠٩	٢٢ر٥٦٨	٣٢ر٧١٤

Source: F.B.I ,Uniform Crime Reports,1976 p.178.

يتضح من الجدول المبين اعلاه ان الذكور يتفوقون على الاناث في جرائم حمل السلاح واستخدامه والسطو وسرقة السيارات ، واكثر ما يبدو تفوقهم واضحا في جرائم العنف والتي تشمل القتل وقطع الطريق والضرب الشديد ، كما وتبين الارقام الزيادة الملحوظة في عدد هذه الجرائم عند الذكور بين عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٦ . وبالمقابل نجد الاناث يتفوقن على الذكور في جرائم البغاء والتي تبدو مرتفعة نسبيا اذا ما قورنت بما يقابلها عند الذكور وهي جرائم الرذائل التجارية (١٠).

كما دلت الدراسات على ان الرجال يتفوقون على النساء في ظاهرة "العود" الى الاجرام ، في اقطار مختلفة من انحاء العالم ، والجدول الاحصائي التالي يبين نسبة العائدين من الذكور الى العائدات من الاناث، في مناطق مختلفة :

الدولة	العائدين من الرجال	العائدات من الاناث
ايطاليا	٣٠ من الذكور	١٢ من الاناث
السويد	٤٣ من الذكور	٣٢ من الاناث
اسبانيا	١٨ من الذكور	١١ من الاناث
روسيا	٨ من الذكور	٦ من الاناث
المانيا الغربية	٧٠ من الذكور	٦٠ من الاناث

المصدر: د.رمسيس بنهام ، محاضرات في علم الاجرام ، الجزء الثاني ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٠ - ١٩٦١،ص١٨٧.

ومن الملاحظ ايضا ان نسبة اجرام الاناث تختلف من دولة لاخرى نظرا لتباين المستويات الثقافية للنساء ، واتجاهات وكالات الضبط ومؤسسات العدالة في الاقطار المختلفة ، ويبين الجدول التالي الوضع الاجرامي النسوي في دول مختلفة من انحاء العالم :(١١).

الدولة	الفترة الزمنية	النسبة المئوية لاجرام النساء
بريطانيا	١٩٢٦ - ١٩٣٠	٥ر٩٪
فرنسا	١٩٢٥ - ١٩٢٩	٨ر٩٪

Digitized by Birzeit University Library

اليابان	١٩٢٥ - ١٩٢٩	١ر٦٪
هولندا	١٩٢٦ - ١٩٢٩	٥ر١٠٪
ايطاليا	١٩٢١ - ١٩٢٣	٤ر١٧٪
النرويج	١٩٢٦ - ١٩٣٠	٣ر٨٪
بلجيكا	١٩٢٣ - ١٩٢٧	٥ر٢٥٪
هنغاريا	١٩٢٦ - ١٩٣٠	٦ر٢٢٪
سويسرا	١٩٢٩	٧ر١١٪
تشيكوسلوفاكيا:		
أ)يوهيميا - مورافيا	١٩٢٣ - ١٩٢٥	١٩٪
ب)سلوفاكيا	١٩٢٣ - ١٩٢٥	٩ر٢٣٪

ولقد حاول البعض ان يربط بين ارتفاع نسبة اجرام الاناث حديثا وبين خروج المرأة الى مجالات العمل المختلفة ومشاركتها للرجل في ميادين الحياة العامة ، ولكن دليلا قاطعا لم يتم التوصل اليه في هذا الشأن بعد. ويمكن القول ان الدراسات المبدئية دلت على ان ازدياد حرية المرأة ومشاركتها في ميادين العمل المختلفة لا يصاحبها بالضرورة ارتفاع منسوب الاجرام عند النساء . فلقد اجريت دراسة استطلاعية في مصر"١٢" وتبينت ان ٨٠٪ من جرائم المرأة على الاقل تأتي من سيدات غير عاملات وانه بسبب الوقوف امام طموحاتها ومقاومة حقوقها قد تلجأ المرأة الى طرق غير قانونية ومن بينها الجريمة لتأكيد ذاتها. فقد ورد في احصائيات وزارة الداخلية المصرية ان نسبة اجرام النساء في العام ١٩٦٠ كانت تشكل ٣٪ من مجموع الجرائم العامة في البلاد ، وقد ارتفعت الى ٤٪ في العام ١٩٨٥ ، كما انه في العام ١٩٨٠ ذكرت الاحصائية ان مجموع جرائم النساء بلغت ٨٠ جريمة منها ٦٤ جريمة ارتكبتها سيدات غير عاملات ، واما في العام ١٩٨٥ ، فقد بلغت جرائم المرأة ١٢٢ جريمة منها ١٠٠ جريمة لسيدات غير عاملات ، وهذا يعني ان ٨٠٪ من جرائم المرأة ترتكبها سيدات غير عاملات ، وهذا الرقم ينطوي على دلالة هامة ومغزى يلفت النظر خاصة في ايامنا هذه حيث يضع الاعتقاد الذي يحاول تفسير ارتفاع اجرام النساء بدخولهن مجالات العمل المختلفة موضع الشك.

ومن الامور التي تسترعي الانتباه في ارقام وزارة الداخلية المصرية كما اوردتها الدراسة ، ان جرائم مثل تزوير الوثائق وتزييف الاوراق النقدية والمصكوكات والرشوة ، وغير ذلك من الجرائم التي تلازم العمل عادة ، لم ترتكب من قبل نساء في السنوات الاخيرة. وتشير الدراسة كذلك الى انه لا توجد تشكيلات عصابية نسائية للاجرام في مصر كما هو الحال في مجتمعات اخرى ، كما انه لا يوجد من بين النساء من يحترفن الجريمة ، بل غالبا ما تكون الظروف الاقتصادية هي التي دفعت المرأة المصرية للانحراف . وترى الدكتورة الهام عفيفي رئيسة وحدة بحوث الاسرة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية ان الاسباب والدوافع التي تضطر المرأة المصرية الى ارتكاب الجريمة تكمن فيما يلي:

١. العامل الاقتصادي: حيث تعاني الكثيرات من النساء المصريات من انخفاض الدخل ، ومن ازدياد التطلعات الى مغريات الحياة والرغبة في الحصول على وسائل الترف ، مما قد يدفع بعض هؤلاء النساء الى استخدام طرق غير مشروعة من اجل الحصول على المال.

٢. سفر الازواج للخارج وما ترتب عليه من

Digitized by Birzeit University Library

قيام المرأة المصرية بدور مزدوج ، اي دورها ودور زوجها الغائب في تحمل مسؤوليات الاسرة ، مما سبب في اندفاع بعض الزوجات الى طريق غير سوي.

٣. الخلل الذي اصاب بعض القيم والمعايير الاجتماعية.

هذا وبالنسبة للوضع الاجرامي للمرأة المصرية ، فان جريمة البغاء تعتبر من الظواهر التي لفتت انظار الحكومة والمؤسسات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية . وقد قام المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بدراسة هذه الظاهرة ، حيث كانت تقابل البغايا في مكتب حماية الاداب في القاهرة ، وتوجه الاسئلة المتعلقة، باسباب ممارستهن للبغاءبصفة خاصة ، ثم بالنواحي والظروف المختلفة المحيطة بحياتهن بصفة عامة (١٣) وقد تبين من الدراسة محاولة البغايا اخفاء الحقائق، وبالرغم مما اتصفت به اجاباتهن من ريبة وحذر وانكار في كثير من الاحيان ، الا ان الظروف المادية القاسية كانت من بين العوامل التي تكرر ترديدها من قبل المبحوثات.

ومن العوامل التي تنبه اليها الباحثون في هذا الخصوص ، دور الاقارب والمعارف والاصدقاء في ارتكاب الجرائم بشكل عام ، وجرائم النساء بشكل خاص. ويبدو ذلك واضحا في المرونة الزائدة التي تتصف بها العلاقات الاجتماعية في بعض المجتمعات. مما صاحب مظاهر الحياة الحديثة من زيارات وحفلات واستقبال النساء للضيوف من معارف واقارب واصدقاء وغيرهم داخل المنازل ، كل ذلك لم يبق في منأى عن التأثير على الحركة الحقيقية للاجرام. لقد صاحب هذه المظاهر ارتكاب جرائم مثل الابتزاز والقتل والاغتصاب والسطو ، وكثيرا ما كانت المرأة نفسها هي ضحية هذه العلاقات الاجتماعية الفضفاضة الى حد كبير . ولقد تنبهت بعض المجتمعات لمثل هذه الحالات، واخذت القيادات المحلية فيها تنبه ربات البيوت وتحذرهن من مغبة استقبال الضيوف والزائرين حتى ولو كانوا من معارف الاسرة اثناء غياب الزوج ، وفي كثير من احياء المدن الكبرى تنصح السيدات بعدم فتح الابواب او حتى بعدم الرد على الهاتف الا في الحالات الملحة (١٤).

وقبل الانتهاء من الحديث عن جرائم الجنس الناعم ، لا بد من الاشارة الى دور الحرب في ذلك ، حيث دلت الدراسات التي اجريت في كل من ايطاليا. والنمسا وهولندا ان جرائم النساء ارتفعت بشكل ملحوظ خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، ولعل ذلك يعود الى مضاعفة الدور الملقى على عاتق المرأة اثناء غياب الرجل وانشغاله في الحرب ، اذ عليها ان تتحمل المسؤولية داخل المنزل وخارجه ، ناهيك عن الوهن الذي يعتري مؤسسات الضبط الاجتماعي اثناء الحرب ، فيصبح الناس اكثر تسامحا وتساهلا فيما يتعلق بالتقيد بمعظم القوانين التي تنظم شؤون حياتهم اليومية (١٥).

ولا شك ان ازدياد حالات التوتر النفسي اثناء الحرب يؤدي الى ارتفاع منسوب الاجرام بشكل عام ، واجرام النساء بشكل خاص. ويقال ان البلاد التي تعاني من التفكك في نظمها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية اثناء الحرب ، ترتفع فيها معدلات اجرام النساء اكثر من غيرها (١٦) . وذلك لتوفر الظروف المناسبة لجرائم تشارك فيها النساء مثل الدعارة ونقل المخدرات ، وقد دلت الدراسات على ارتفاع نسبة اجرام الاناث البالغات بشكل ملحوظ في كل من المانيا والنمسا خلال الحرب العالمية الاولى ، اما في بريطانيا والولايات المتحدة فكانت نسبة ارتفاع جرائم الاناث فيهما اقل ، وتركزت نوعية المخالفات على خرق نظم التسعيرة والتموين والسرقة.

Digitized by Birzeit University Library

الهوامش

1. Martin R.haskell and Lewis Yablon - sky , Crime and Delinquency,3rd edition,Rand Mc Nally Publishing Co,Chicago,1978,P.212.

٢. د.رمسيس بهنام ، محاضرات في علم الاجرام ، المعارف / الاسكندرية عام ١٩٦١، ص١٧٩.

3. Letha and John scanzoni, Men , Women and Change: A sociology of Family, Mc Graw - Hill, Inc,New york, 1976.

4. Hassim M. Solomon,Community Corrections,Holbrook Press,Allyen and Bacon , Inc,Boston,1976.

5. Otto Pollak, The Criminality of women, (Philadilphia:university of pennsylvania press,1960).

6. Ibid.

7. Martin R.Haskell and Lewis Yablonsky,Op cit , P.216.

8. Ibid.p.217.

9. Paw F.cromwell,Jr,and Others, Introduction to Juvenile Delinguency, west publishing co.Los Angeles,1978.

10. F.B.I, uniform crime reports,1976, p.178.

١١. د. يسر انور على.د آمال عبد الرحيم عثمان ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٧ ص١١٨.

١٢. اخذت الارقام من احصائيات وزارة الداخلية كما وردت في دراسة مصرية نشرت في مجلة حواء ، عام ١٩٨٦ ، العدد ١٥٧٧، شهر ديسمبر، ص ٤ - ٢٧.

١٣. د.عبد الباسط محمد حسن ، اصول البحث الاجتماعي ، الطبعة السادسة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٧٧.

14. Marting R.Haskell and Lewis Yablonsky,Opo cit.

١٥. د. عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٢.

١٦. ادوين سذرلاند ودونالدكريسي، مبادىء علم الاجرام ، ترجمة ومراجعة اللواء محمود السباعي ، دكتور حسن صادق المرصفاوي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص٢٦٩ - ٢٧١.

Digitized by Birzeit University Library

وثائق

الحركة المسرحية في المناطق الفلسطينية المحتلة

اعداد : جميل السلحوت

٣ - مسرح الورشة الفنية

واحدة من ابرز همومنا الثقافية هي عدم توثيق هذه النشاطات والفعاليات من ناحية ، او "اختصار" بعض الحقائق و"اهمال" بعض الفعاليات من ناحية ثانية .

وهذا "الاختصار والاهمال" يقع في غالب الاحيان ضمن اطار "تعمد تغييب بعض الاتجاهات وانكار دورها" فضلا عما تلقاه من نكران وجحود ممن ارادوا لانفسهم دور الوصاية عل الثقافة.

يقولون : هكذا .. والا فلا !

ويتجهون : نحن من قبل ومن بعد ، ولم يكن قبلنا الا قبض الريح ، ولن يكون بعدنا الا الطوفان !

وتضيع الحقائق ، ويصبح الطاووس ، او ربما الراهي وحده ، بلبلا غريدا، ويضطرب اسم البلبل من قاموس الحقائق. ويصبح التاريخ ارجوحة تعلو بفارس زمنا ، وتهبط بمن تقف "الصدفة" عنه الريش .

ان خلف الريش الزاهي طيرا مقاوما اعجفا ، فلا هو باللحم ولا بالشحم ، والفائد للشيء لا يغني به عن شيء حقيق ، فلا يرد غائلة، ولا يسد وخمة.

كان طموح "الكاتب" دائما توثيق هذه النشاطات والفعاليات الثقافية في المناطق المحتلة، وكان دافعها ان تكون "الحقيقة" هي "الوثيقة" التي لا تضيع ولا تنسى ، وقد رأت هيئة التحرير ان تتوجه الى اصحاب هذه الفعاليات انفسهم ، من كل منحى فني او فكري ، لأن يقولوا كلمتهم الوثيقة هم انفسهم في مرآة ذاتهم.

سنتناول في كل "وثيقة" مجموعة او فردا مبدعا ، ليقول كلمته، دون حجاب او عتاب ، وسيكون دورنا الاصغاء ، كل الاصغاء.

اننا ندعو كل الفعاليات الثقافية للتعاون مع محرر هذه الوثائق ، ليستطيع بدوره ان يرفع صوتها ... للحقيقة والتاريخ .

Digitized by Birzeit University Library

مسرح الورشة الفنية

في بداية عام ١٩٨٥ بادر جورج ابراهيم وعماد مزعرو بتأسيس "مسرح الورشة الفنية" وذلك اثر القناعة التامة التي اصبحت لديهم بوجوب تطوير حرفتهم وثقافتهم المسرحية من خلال العمل في ورشة فنية يكون هدفها الوحيد بناء الفنان المسرحي الجيد من خلال اتاحة المجال امامه للتعلم والتدرب على ايدي ذوي الخبرة والمعرفة باصول "الصفة المسرحية" وقد انضم اليهم في مرحلة التأسيس كل من :ابراهيم عليوات ، ايمان سرحان ، حسام جويلس، مايكل مسيس ، اليكي كريستودولو، وعماد ادريس لكنهم انسحبوا فيما بعد.

والورشة الفنية تعمل على تطوير المسرح المحلي كما وكيفا وتبذل جهودها في سبيل خدمة هذا الهدف فهم يرون انه "عندما يزدهر المسرح فان معنى هذا هو ازدهار يقظة الحياة فينا ، يقظة الحياة في مجتمعنا، تطلعنا وتحفزنا تحركنا وانطلاقنا ، ازدهار المسرح هو تعبير عن حيوية حركة التاريخ في المجتمع ، عن حيوية لقاء الانسان للانسان فيه وتخطيه لحواجز الجمود والتخلف". وقد بدأت الفرقة اعمالها بتقديم مسرحيتين للاطفال هما:

* مسرحية "هارون الرشيد والاسكافي السعيد" وهي قصة تراثية اعدها للمسرح واخرجها جورج ابراهيم. ومثلها: عماد مزعرو، مايكل مسيس ، حسام جويلس ، عماد ادريس ، وايمان سرحان ، وموضوع المسرحية عن السعادة حيث تظهر ان الاسكافي اسعد من الخليفة . وقدمت اكثر من اربعين عرضا في صيف عام ١٩٨٥ للمخيمات الصيفية في القدس ، رام الله ، الجولان ، اللد وعدد من المدارس.

وفي صيف عام ١٩٨٧ تغير طاقم تمثيلها حيث مثلها هذه المرة : عماد مزعرو، لولا زيادة ، اسماعيل الدباغ ، وعلي الحجاوي وعماد ادريس.

وستقوم المسرحية قريبا بجولة في المثلث والجليل والضفة الغربية.

* وفي صيف عام ١٩٨٦ قدمت الفرقة مسرحية "الملك ميداس" . اعدها عن قصص الاطفال لأندرسون واخرجها جورج ابراهيم.

وتعالج قضية حب المال والجشع. ومثلها : عماد مزعرو، ابراهيم ابو جمعة ، لولا زيادة ، اسماعيل الدباغ ، ومايكل مسيس. وقدمت حوالي عشرين عرضا في المخيمات الصيفية.

كما قدم مسرح الورشة الفنية ، مسرحيتين للكبار هما :

* مسرحية "معك ولعة" المأخوذة من مسرحية "مشعلو النيران" للكاتب السويسري ماكس قريش ، ترجمها مايكل مسيس واخرجها جورج ابراهيم.

مثلها : اميل عشراوي ، اليكي كريستودولو، عماد مزعرو، ابراهيم ابو جمعة ، يعقوب اسماعيل ، حسام جويلس ، عدنان العويوي ، عماد ادريس ، رأفت ابو دياب ، ومديحة القواسمي وكتب لها الاغاني ولحنها الفنان مصطفى الكرد.

عرضت هذه المسرحية في تشرين ثاني وكانون اول ١٩٨٦ وقدمت اكثر من خمسة عشر عرضا في القدس وبيت لحم . وموضوعها عن كيفية تغلغل النازية في المانيا كافراز للبرجوازية الالمانية كما تبين لنا ان الاعمال الفردية لا تشكل ثورة.

وفي تشرين الثاني ١٩٨٧ بدأت الفرقة

Digitized by Birzeit University Library

بتقديم عروض لمسرحية "كاليجولا" للكاتب الفرنسي البير كامي ترجمها واخرجها جورج ابراهيم. وموضوعها عن عبث الحياة ، السلطة الفردية ، التمرد البرجوازي يفرخ برجوازيات ولا يعتبر بديلا للثورة الشعبية.

والمسرحية لا تزال تعرض وقدمت اكثر من خمسة وثلاثين عرضا في القدس ، نابلس ، المثلث ، الجليل ، عرابة ، وجت . مثلها : عماد مزعرو ، لولا زيادة ، عندليب نزال، اسماعيل الدباغ، جورج ابراهيم ، يحيى شقير ، ابراهيم ابو جمعة ، صقر السلايمة ، حسام جويلس ، صقر السلايمة ، وعلي الحجاوي . كما قامت الفرقة بتنظيم دورة "صوت" للفنانين.

الاعمال المستقبلية : تتدرب الفرقة على مسرحيتين واحدة للاطفال اسمها "المهنة الحرة" تعالج اهمية المهنة والعمل اليدوي للانسان.

والثانية للكبار "الموت الفجائي للفوضوي" للكاتب الايطالي "داريوفو" وتعالج مسألة الصراع الطبقي. وقد اعدهما مسرحيا جورج ابراهيم ويقوم باخراجهما ايضا.

مشاكل: عدم وجود مقر ، عدم وجود مسرح للتدريبات والتمويل.

هم ومركز الحكواتي: يقول جورج ابراهيم: لم يؤد الطموحات التي كانت مبنية عليه ، كان الطموح ان يكون مركزا ثقافيا فلسطينيا لكل الفرق والاتجاهات . لكنه في الواقع مركزا يمكنك استئجاره مع المراعاة. وبحكم مركزه الدعاية المسرحية تكون باسمه.

اما عماد مزعرو فيقول : دعايتهم منتشرة فجميع الاعلانات تكون باسم الحكواتي وتأتي وكأنها دعاية لفرقة الحكواتي مع ان الفرق الثانية لها اعمال كبيرة وجهود طيبة.

الاعضاء المركزيون في الفرقة :

يوجد في مسرح الورشة الفنية ستة فنانين متفرغين هم :جورج ابراهيم ، عماد مزعرو، لولا زيادة ، اسماعيل الدباغ، ابراهيم ابو جمعة وعلي الحجاوي.

جورج ابراهيم:

هو جورج ابراهيم جورج حبش ولد في الرملة سنة ١٩٤٥ . اثر نكبة عام ١٩٤٨ شرد مع عائلته حيث لجأوا في عمان وبقي فيها حتى عام ١٩٦٥ ومنها انتقل الى القدس ولا يزال يعيش فيها ، متزوج واب لطفلتين.

- بدايته الفنية كانت اثناء دراسته في مدرسة رغدان في عمان حيث مثل مسرحيتي "تاجر البندقية" و "العصا السحرية".
- عمل ممثلا في الاذاعة الاردنية عامي ١٩٦٣ - ١٩٦٤ حيث مثل في قصة "الارض الطيبة" ومسرحية "يوليوس قيصر" و"رجال وفئران" وعدد كبير من التمثيليات التاريخية مع هشام يانس ، هشام الهنيدي ، موسى عمار، كوثر النشاشيبي ، مازن القبج ، عمر قفاف ، محمد العبادي ، حسن ابو شعيرة ، اديب الحافظ ، عادل عفانة واخرون.
- وفي نفس الوقت عمل في المسرح حيث مثل في عدة مسرحيات منها "البيت الصاخب" لوليد مدفعي و "اهل الكهف" لتوفيق الحكم.
- عام ١٩٦٥ درس ادارة الاعمال في المعهد العلمي في عمان ، وعمل موظفا في الكنيسة اللوثرية في القدس حتى عام ١٩٦٧.
- بعد حرب عام ١٩٦٧ العدوانية سافر الى اوروبا لمدة تسعة شهور وذلك في محاولة لدراسة التمثيل لكنه لم يوفق فعاد الى القدس.
- ما بين ١٩٦٨ - ١٩٧١ درس "الفن المسرحي" في الجامعة العبرية.
- عام ١٩٧١ درس المسرح لمدة سنة في جامعة تل ابيب.
- ما بين ١٩٧٤ - ١٩٧٦ درس الاخراج التلفزيوني في معهد الدراسات العليا للسينما

Digitized by Birzeit University Library

والتلفزيون في تل ابيب.
- عام ١٩٨٠ خرج في جولة دراسية استطلاعية مسرحية لامريكا جاب فيها ١٢ ولاية.
- منذ عام ١٩٦٨ وحتى اليوم يعمل في المسرح.
- كتب ومثل واخرج حوالي ثلاثين مسرحية للاطفال منها عشر مسرحيات غنائية ، وحوالي ٢٠ مسرحية للكبار.
- اسس فرقة الفنون المسرحية عام ١٩٧٠ قدمت حوالي ٤٣ مسرحية.
- احد مؤسسي "مسرح الورشة الفنية".
- مثل في الفلم الانجليزي "موت الغريب" مع الممثل الالماني العالمي هاردي كروجر. ومثل في الفيلم الامريكي "عند الصليب" وفي فلم تلفزيوني "اشواك السلام".

عماد مزعرو:

هو عماد حمدي محمد محمود مزعرو مولود عام ١٩٥٧ في حي عقبة درويش في القدس القديمة متزوج واب لاربعة اطفال يسكن الان في عناتا . انسان كادح في حياته ومسلكه وميوله ، اعتقل عدة مرات اعتقالا احترازيا ، عامل قبل ان يكون مسرحيا. تنقل في عدة مهن :الحدادة ، النجارة ، دهان السيارات لمدة عشر سنين.

- عرف المسرح عام ١٩٧٣ مع فرقة نادي الهلال المقدسي وبقي معهم حتى عام ١٩٧٥ حيث مثل مسرحية "سنزرع الارض من جديد" وعدة اسكتشات.
- احد مؤسسي فرقة "الامل الشعبي" ومثل في المسرحيات التي قدمتها وهي "مدرسة. سعاد" و "يا عالم نفسي اتجوز" و "المهرج".
- بعد حل فرقة "الامل الشعبي" عمل بشكل فردي حيث قدم عدة اسكتشات مسرحية في عدة احتفالات جماهيرية.
- في صيف ١٩٨٤ مثل في مسرحية "بلا وجه" مع المسرح الفلسطيني.
- عام ١٩٨٦ اخذ دور البطولة في مسرحية "كلاب وارقام" لفرقة "سنابل".
- احد مؤسسي "مسرح الورشة الفنية" ومثل في جميع اعمالها.
- مثل في مسرحية "كفر شما" مع فرقة الحكواتي.

اسماعيل الدباغ:

هو اسماعيل عرفات الدباغ مولود في القدس عام ١٩٦٨ . يلعب كرة القدم وتنس الطاولة ، يهوي الرسم ويمارسه ، يهوى التمثيل منذ نعومة اظفاره.

- شارك مع فرقة الجوال حيث مثل في مسرحيتي "الحارة المختارة" و "جنوني".
- اسس مع عماد غيث فرقة "مسرح الرواه" وقدما مسرحية "مدرسة الحب".
- عام ١٩٨٥ شارك مع فرقة الحكواتي في مسرحية "قام الميت لكشه" وهي عبارة عن الفصل الاول من مسرحية "كفر شما" مع تعديلات في المقدمة والخاتمة. كما مثل في مسرحيتي "الاستثناء والقاعدة" و"كفر شما".
- عام ١٩٨٦ انتقل لمسرح الورشة الفنية حيث مثل "هارون الرشيد والاسكافي السعيد" كما شارك في برنامج ترفيهي لمخيمات الاطفال الصيفية.
- كان موظفا في وكالة الغوث لكنه ترك الوظيفة ليتفرغ للمسرح.
- درس كورس صوت وكورس "حركة تكتيك ممثل".

ابراهيم ابو جمعة :

ابراهيم محمد علي ابو جمعة مولود في الطور سنة ١٩٥٠ ، متزوج واب لسبعة اطفال.

- بدايته الفنية عام ١٩٧٢ حيث شارك في عدة مسرحيات منها "ابو الانبيا" و "الحبل الاسود" و "الفلاح والارض" تأليف مها عبده واخراج ابراهيم ابو جمعة.

Digitized by Birzeit University Library

- مسرحية "اللي بعرف بعرف" تأليف سميح بدران واخراج ابراهيم ابو جمعة.
- مسرحية "حصحص المحبوب" عن حمار توفيق الحكيم.
- مسرحية "عريس لسلوى".
- عام ١٩٧٥ انضم لفرقة الفنون المسرحية حيث مثل في عدة مسرحيات منها "الاسكافي السعيد" و"ليلى الحمراء" ، "مدينة الاحلام" ، "قمر الاميرة" ، "حاميها حراميها" ، "هبط الملاك في بابل" ، "علاء الدين والفانوس السحري" ، "مين يلعب على مين" ، "بنت الطحان" ، "الفلاح والسلطان" ، "جدي مش ختيار".
- مثل مع الورشة الفنية في "هارون الرشيد والاسكافي السعيد" ، "معك ولعة" ، "كاليجولا".
- مثل مع المسرح الفلسطيني مسرحية "عند اللزوم".
- مثل في الفيلم الامريكي "البحث عن ماريا".
- يعزف على الناي ويقود فرقة "شباب جبل الزيتون" للدبكة الشعبية.

علي حجاوي:

مولود في حارة الشرف بالقدس القديمة عام ١٩٥٣ . ويسكن الان في واد الجوز واكب الحركة المسرحية منذ عام ١٩٧٠.

- احد مؤسسي فرقة بلالين وشارك في جميع اعمالها حتى عام ١٩٧٤.
- مثل في مسرحيات "قطعة حياة" ، "العتمة" ، "نشرة احوال الجو" ، "انشودة الدم" التي منعتها الرقابة ، "الكنز" ، "ثوب الامبراطور".
- مثل مع فرقة "بلالين".
- مثل في مسرحية "الاستثناء والقاعدة".
- عمل مع المسرح الفلسطيني ، حيث اخرج ومثل مسرحية "حريق الجحيم".
ومثل في "الرقاصين".
- مثل مع فرقة صندوق العجب مسرحية "لما انجنينا".
- عمل ما بين نهاية ١٩٧٦ واواخر ١٩٨٥ في الكويت والعراق.
- في اواخر ١٩٨٥ عمل مع الحكواتي حيث مثل في "قام الميت لكمشه" وكذلك في "تغريبة العبيد".
- اشترك مع الورشة الفنية وهو احد المتفرغين فيها حيث مثل "هارون الرشيد" و"الاسكافي السعيد" و "كاليجولا".
- مثل في فيلم "عرس فلسطيني" ومثل في فيلمين امريكيين هما : "النبي ابراهيم" و "عيسى عبر فوق الدم".
- يجيد الدبكة الشعبية ، حيث قدم عدة رقصات مع فرقة "بلالين" منها "الامل" وردهات السكة" و"الارض".

لولا زيادة:

فتاة مقدسية ، بدأت مع المسرح في مسرحية "الحبل الاسود" مع فرقة عبير.
- مثلت في مسرحية "بنت الطحان" مع فرقة الفنون المسرحية.
- مثلت في مسرحية "البحارة" اثناء دراستها الجامعية في كلية الاداب بدار الطفل.
- درست الدراما اثناء دراستها الجامعية.
- مثلت مسرحية "حياة المسيح" بمناسبة اعياد الميلاد في كاثدرائية السان جورج.
- متفرغة مع الورشة الفنية حيث مثلت في "هارون الرشيد والاسكافي السعيد" و "الملك ميداس" و"كاليجولا".

* نشكر جورج ابراهيم ، عماد مزعرز ، اسماعيل الدباغ، علي حجاوي ، ابراهيم ابو جمعة ولولا زيادة على المعلومات التي زودونا بها.

Digitized by Birzeit University Library

فرقة الامل الشعبي

تأسست هذه الفرقة عام ١٩٧٦ بمبادرة مجموعة من الشباب منهم : عماد مزعرو ، عدنان ابو سنينة ، اسعد صباح ، معتصم صندوقة ، عدنان العويوي واخرون وقدمت ثلاثة اعمال مسرحية هي:

١) عام ١٩٧٦ مسرحية "مدرسة سعادة" تأليف نكفوري عيسى واخراج عماد مزعرو.
وموضوعها عن معاناة الطلاب ومشاكلهم.
مثلها : عماد مزعرو ، اسعد صباح ، عدنان ابو سنينة ومعتصم صندوقة.

٢) عام ١٩٧٧ مسرحية "يا عالم نفسي اتجوز" تأليف عدنان العويوي واخراج عماد مزعرو.
موضوعها : غلاء المهور ، هجرة الشباب وزواجهم من الاجنبيات.
مثلها : رقية المغربي ، عماد مزعرو ، عدنان العويوي، عدنان ابو سنينة ، اسعد صباح ومعتصم صندوقة.

٣) عام ١٩٧٨ مسرحية "المهرج" تأليف محمد الماغوط اخراج عبد العزيز الرجبي وعماد مزعرو.
تمثيل: عماد مزعرو ، معتصم صندوقة ، عدنان العويوي ، عدنان ابو سنينة ، خالد صباح ، ماهر ابو صبيح و "سوسن".
وفي اواخر عام ١٩٧٨ حلت الفرقة نتيجة خلافات داخلية.

○ نشكر الفنان عماد مزعرو لتزويدنا بالمعلومات عن هذه الفرقة.

****

وصلتنا بطاقات معايدة بالعام الجديد ، حملت اطيب التمنيات ، معربة عن تضامنها مع شعبنا الفلسطيني. واستنكارها للقمع والتنكيل ، ونحن بدورنا نبعث لاصدقائنا بأطيب التحيات ، وأصدق التمنيات بالعام الجديد ، مؤكدين ثقتنا ، بأن العام الجديد ، سوف يكون عام خير وسلام لشعبنا الفلسطيني ، ولجميع شعوب العالم ، المتطلعة الى السلام .. والعدل .. والتقدم.

وسلامنا ومحبتنا للاصدقاء:

- الطلبة الاكراد ي ياش - رومانيا.
- الاتحاد الديموقراطي العراقي - الولايات المتحدة وكندا.
- رانير كارندل - نائب رئيس اتحاد كتاب المانيا الديموقراطية.
- قراء "الكاتب" - رومانيا.
- الحركة الثقافية لعموم اليونان.

****

Digitized by Birzeit University Library

قصـــة

عائشة والبلاد

محمود شقير

عائشة عادت الى البلاد بعد طول غياب ، وهي الان اقدر على معرفة الناس الذين طالما اتهمتهم بالتقصير ، وحينما تتذكر عائشة ايامها الاولى بعد ان عادت ، تبتسم ساخرة من نفسها ، ثم تشعر بالرضى لانها لم تسيء التصرف مع زوجها او مع النساء اللواتي تقاطرن عليها بعد ليلة الزفاف، للتهنئة . او للثرثرة واشباع الفضول من خلال الاسئلة الخبيثة والابتسامات المكتومة ، او لتوجيه الانتباه الى حدث عام مثلما تفعل عادة ام الشفيع ، فلا يندر ان تقرصها امرأة ما في فخذها طالبة منها ان تؤجل حديث السياسة الى وقت اخر.

محمد. حدثها كثيرا عن ام الشفيع ايام الخطوبة في البلد البعيد ، واعتقدت تبعا لذلك انها ستلتقي مع امرأة لا مثيل لها بين النساء ، هكذا اعتادت عائشة ان تضخم الامور دوما وهي تكبر خارج البلاد. حينما عادت ، وبدأت النسوة من قريبات محمد وجارات اهله وكل البنات يتوافدن للسلام على البنت التي عادت بعد عشرين سنة من القرية ، فانها لم تنتبه كثيرا لتلك المرأة الشابة ، ذات القوام النحيف والعينين الوادعتين الا حينما قالت: انا ام الشفيع. انذاك اطلقت عائشة ضحكة من القلب ، قبلت ام الشفيع على خديها وقالت :سمعت عنك الكثير ، لكنني توقعت ان اشاهد امرأة اخرى لا تشبهنا نحن النساء. بدا الحرج على وجه ام الشفيع ، ابتسمت وقالت :بل انا واحدة مثل الكثيرات. ثم اتفقتا على حديث مفصل في وقت اخر.

انتبهت عائشة الى ما حولها حينما صاحت ام زوجها طالبة من سائق التاكسي ان يتوقف لانها تريد ان تتقيأ في هذا الصباح ، توقف السائق دون ان يخفي امتعاضه ، وتأمل الباب لحظة وام محمد تصفقه من خلفها بحدة غير مقصودة ، اما ابو محمد فقد واصل الركون الى الصمت كأن يتفكر في سنوات هذا العمر التي مضت كلها في التصدي للغزوات ، والسائق اطلق العنان لاغنية سقيمة يبثها المذياع من احدى الاذاعات ، وعائشة امعنت النظر في اشجار الزيتون التي تشبه نسوة متجلدات قادرات على احتمال الاحزان.

عادت ام محمد الى السيارة وهي تقول كأنها تعتذر عما حدث ، ان رائحة البنزين تجعلها دائما تتقيأ ، وكادت تلعن الركوب في السيارات لولا خوفها من ان ينتهرها ابو محمد الذي يجلس في المقعد الامامي رصينا مثل جبل.

عائشة اصبحت الان اكثر فهما لما يدور حولها حينما جاء محمد الى ذلك البلد البعيد زائرا ، لم تكن تعرف شيئا حقيقيا عن اهل البلاد ، اعتقدت لوقت طويل انهم مقصرون لمجرد قبولهم بالعيش اليومي الرتيب ، يأكلون خبزهم

في الصباح وفي المساء فيما البلاد تعاني ما تعانيه،

في تلك الزيارة الخاطفة تعرف عليها محمد ، وعرف انها شبت وكبرت دون ان ترى البلاد او تعرف عنها شيئا الا من خلال الاذاعات التي لعبت بالعواطف دون فعل يذكر ، وقالت انذاك انها لا تستطيع ان تتخيل نفسها قادرة على

Digitized by Birzeit University Library

العيش يوما واحدا والغزاة من حولها يتكاثرون كالحشرات ، ستقوم بفعل خارق للخلاص. هذا ما كانت توطد العزم عليه ، ومحمد حينما يسمعها ممعنة في وصف افكارها ، يضحك ثم يبدأ دفاعه عن الناس الذين يتشبثون بايديهم واسنانهم بكل ذرة تراب ، يعيشون تحت المر ، ويكابدون الويلات ، ويقول ان مجرد بقائهم في وطنهم ، رغم مختلف وسائل الترهيب ، هو فعل له قيمته ، فتهتاج عائشة ، وتمعن في وصف رغباتها : بامكانكم ان تفعلوا كذا وكذا ، وبوسعكم ان تحققوا كيت وكيت. ومحمد يشرح لها التفاصيل الصغيرة التي يتم بناؤها على نطاق واسع دون ان يشعر بها احد او تعلن عنها اذاعة ما . ويقول لها حينما تأتين الى البلاد سأجعلك تتعرفين على ام الشفيع ، فيثور في صدرها فضول غامض ، غير انها تظل مدفوعة الى افكارها الجامحة التي قرأتها في الكتب ، ثم غذتها بالعواطف والاخيلة محاورات النخبة من المثقفين الذين يفدون الى بيت ابيها ، يحللون الاوضاع عن بعد ، فلا يبقون رأيا لمفكر او فيلسوف الا استشهدوا به للتأكيد على صحة ما يعتقدون.

يحتدم النقاش بينها وبين محمد ، ومن خلال ذلك يزداد اقترابه منها واقترابها منه ، فيخطبها من ابيها ، يوافق الاب وتبدأ في اعداد ثياب عرسها وهي تستعيد في ذهنها حديث محمد حول تلك المرأة العنيدة الصابرة ، قال انها خطبت الى رجل ، فلم يلبثوا ان قبضوا عليه بعد القيام بعدة عمليات فدائية ، ثم اكتشفوا لديه مخبأ للاسلحة ، فاقتادوه الى المحكمة بعد اشهر من التعذيب، فاصدرت ضده حكما بالسجن المؤبد ، زارته خطيبته في السجن واخبرته انها ستنتظره مدى الحياة ، انذاك لم تستطع عائشة ان تكتم فضولها ، فقد سألت في تعجل : وهل انتظرته ؟ قال محمد: نعم . ظلت تنتظره سبعة عشر عاما ، سألت عائشة : وبعد ذلك تركته ؟ قال محمد: لا ، لم تتركه ، فقد تم الافراج عنه في عملية تبادل الاسرى ثم تزوجها.

ترتب عائشة ثياب عرسها في الحقائب التي ستحملها معها عبر المسافات ، وتشعر ان ثمة تحديا يكبر في اعماقها ، فلماذا لا تكون عائشة مثل هذه المرأة بالذات ، وتذكر انها في بعض الليالي حينما يؤرقها جو المدينة القائظ ، كانت تتصور نفسها وقد عادت الى البلاد ، فوجدت انهم قبضوا على خطيبها وحكموا عليه بالسجن مدى الحياة ، انذاك سوف تقف امام نساء القرية كلهن ،وتعلن بتواضع جم انها ستنتظر محمدا حتى الممات ،.وفي مرات اخرى كانت تضيف الى ذلك تصورات جديدة ترى نفسها وقد تعرضت لثلة من جنود الاعداء وقامت بفعل بطولي يكلفها حكما بالسجن مدى الحياة.

لم يكن خيالها الجامح يقف عند حد ، حينما دخلت الجسر برفقة ابيها متجهة الى البلاد كي تزف الى عريسها ، شعرت لاول وهلة وهي ترى جنود الاحتلال يتراطنون فيما الناس يحملون حقائبهم في امتثال انه سيغمى عليها لمجرد مشاهدة مثل هذا الواقع ، فكيف يقبل الناس هذا الانصياع لرغبات الغرباء!! وحينما ادخلت عائشة الى غرفة التفتيش كادت تفقد صوابها ، وجدت هناك شرطية في مقتبل العمر، تأملتها في سخرية ثم قالت:

- اخلعي ملابسك .. اخلعيها.

خلعت الفستان ووقفت تنتظر ، صاحت فيها الشرطية :

- اخلعي كل شيء .. كل شيء.

ترددت ، راقبتها الشرطية بعين متشككة :

- قلت لك اخلعي كل شيء ، اريد ان اراك كما ولدتك امك.

خلعت ملابسها في حيرة وارتباك ، وتمنت لو انها لم تخلق قط لترى مثل هذا الوضع ، تأملتها الشرطية:

- اول مرة تعبرين الحدود؟

Digitized by Birzeit University Library

- نعم.

تحسست شعرها ، تحت ابطيها ، اشارت الى اسفل بطنها ، قالت بدون اكتراث:

- الطريق سالكة ، اليس كذلك ؟!

احتدت عائشة :

- لا !!

- يجب ان اتأكد.

- كيف تتأكدين ؟؟

- سأدخل اصبعي هناك.

- مستحيل ، هذه اهانة !!

- لا بد من التأكد ، ربما وضعت فيه شيئا معاديا لنا.

- ماذا سأضع ؟؟ انا بنت بيت ، لا يوجد شيء.

- بعضهن يهربن اقلام توقيت واصابع ناسفة .. هيا ، افتحي فخذيك .. افتحي.

تمنعت عائشة ، ضربتها الشرطية ، دخلت شرطية اخرى ، تضاحكت مع زميلتها ، ثم تعاونتا على الامساك بعائشة جيدا ، الى ان تمكنتا منها تماما. وحينما انتهى التفتيش قالت لها الشرطية الاولى:

- الان ، بامكانك ان ترتدي ملابسك .. هيا !!

تململت عائشة في مقعدها الخلفي ، حدقت عبر زجاج السيارة ، نحو الخارج ، كانت اشجار الزيتون تغطي سفح الجبل ، تتقارب كأنها رؤوس عشاق يتناجون في الهدوء الظاهري المؤقت ، والطريق تتعرج على نحو مزعج ، والسيارات تتفادى في احوال كثيرة اصطدامات مؤكدة ، وهي تتمنى الا تتقيأ ام زوجها مرة اخرى ، حينما انطلقت بهم السيارة في الصباح المبكر قال السائق نحتاج الى ثلاث ساعات متواصلة ، معنى هذا انها بعد ساعة ستكون على بوابة السجن تنتظر الدخول اليه ، ستبدو عنيدة صابرة امامه لكي تدخل الطمأنينة الى قلبه ، وستقول له انها تعلمت الكثير في هذه الاشهر القليلة. حينما عادت الى البلاد استغربت وهي تحدق في الناس الذين اتوا لرؤيتها : انهما ناس عاديون ، يتبادلون المجاملات ، ويجلسون لتناول الطعام ، ويضحكون ، وينصرفون في الليل وقد هدهم التعب الى فراشهم الوديع. فهل هذا معقول ؟؟

صحيح ان عائشة لاحظت اسى في العيون ، واصرارا عنيدا على الحياة ، واكتشفت بعد وقت ان ثمة جيلا جديدا كفه تلاطم المخرز يشب عن الطوق وينمو ، وثمة نسوة جديدات يأخذن طريقهن الى قلب هذا العالم. ام الشفيع هي ابرز مثال على ذلك ، تغادر بيتها بعد ان يذهب بنوها الى المدرسة ، متجهة الى مقر اللجنة النسائية حيث تتوافد الى المقر نسوة اخريات ، وهناك يبدأ عمل يومي مثار بسيط ، بعد ايام من زفاف عائشة ، جاءت ام الشفيع ، وطلبت من عائشة ان تلتحق باللجنة ، لم تقتنع عائشة في البداية ، فما الذي ستفعله الاجتماعات واللقاءات ، وزيارات النساء في البيوت وفي مواقع العمل ، غير ان ام الشفيع الحت على عائشة ، فوافقت محرجة ثم اخذت تتردد على اللجنة النسائية ، واصبحت ترى الامور على نحو افضل مما سبق: ثمة روح هائلة تكمن في اعماق الناس ، تتشكل من الاف التراكمات الصغيرة التي لا تراها الاذاعات ، اصبحت عائشة مقتنعة بهذه الروح الكامنة التي لا تعرف النضوب . وكلما رأت ام الشفيع قرأت في عينيها ملامح هذه الروح المليئة بالاصرار.

بعد الزواج باشهر ، القي القبض على محمد ، وعلى الفور اخذت صورة تلك المرأة التي انتظرت سبعة عشر عاما تلح على عائشة !! كم تمنت لو انها زارتها فعلا كما وعدها محمد ذات مرة !! اذا لقبلتها على وجنتيها وجلست امامها تتعلم منها درس البطولة والاصرار.

ارتبكت عائشة وهي تجتاز بوابة السجن نحو المكان المخصص للزوار ، كانت تهيء نفسها لقول شيء ما لمحمد الذي قالت المحامية انه ينتظر حكما لا يقل عن خمس سنوات ، ارتبكت

Digitized by Birzeit University Library

واحست ان جرأتها تغادرها ، مشت خلف والد زوجها الذي قال:

- تجلدي يا عائشة ، نحن متعودون على مثل هذا.

بدا وجه محمد هادئا من خلف شبك الزوار ، تلمست عائشة رؤوس اصابعه من بين فتحات الشبك ، ولم تستطع ان تقول له سأنتظر ، فقد خجلت وهي تتذكر تلك التي انتظرت سبعة عشر عاما ، حدقت في عينيه وقتا ، ولا تدري لماذا حينما رأته يتأملها في ثقة دمعت عيناها ثم غلبها البكاء !!

° ° ° °

Digitized by Birzeit University Library

قصـــة

وتطلق الريح العنان لعهرها المعهود منذ ايام آدم ونوح والطوفان ..

وليم فوسكرجيان

الريح تعوي في الخارج.. تزمجر في الخارج.. تطلق صرخاتها المجنونة في وجوه بيوت وازقة المخيم المكبل بالليل والسلاسل والسنين التي فقدت رجلها في المعركة الاخيرة..

الريح تعوي في الخارج.. تزمجر في الخارج.. تخلع ثيابها الفاضحة وتطلق العنان لعهرها المعهود منذ ايام آدم الطوفان.. لا احد هناك في طرقات وازقة المخيم المخيم التي تعد على اصابع اليد الواحدة. ما بعد منتصف الليل يجر قدميه الضجرتين بعيدا عن هذه الكومة من بيوت الذل والطين والمتسولين واشباه الرجال والنساء .. تلك الفجوات التي يجلس فيها محمد ويونس ونجمة وصبحي وغانم. وام سليمان وام بدر وام خليل وحلوة وابو العبد ويوسف العرجا ومحمود القوقا ونايف واخرين طيلة نهار كل يوم يبيعون فيها اشيائهم القليلة والرخيصة التي يملكون مغلقة تماما.. لم تتغير ملامح تلك الفجوات كثيرا طيلة تلك السنين الطويلة التي مرت سريعا.. الجدران صفراء.. باهتة.. وهزيلة.. الوجوه لم تختلف قسماتها وملامحها وابعادها الاربعة كثيراء والذكريات حزينة.. كئيبة.. وترتدي وشاحا اسودا ازليا..

كثيرة هي المرات التي يكره فيها هؤلاء الى غلق فجواتهم الحبيبة والكريهة تلك.

عندما يخيم الليل الموحش على طرقات وازقة وبيوت وجنبات المخيم ، يغلقون فجواتهم تلك.. وعندما يقلد الصغار الكبار ويخرجون في مظاهراتهم الصاخبة.. يغلقونها.. وعندما يغضب الجنود ويطلقون العنان لبنادقهم وارجلهم وايديهم وافواههم وكلابهم ونسائهم.. يغلقونها.. وفي ايام الشتاء الباردة والكثيرة والتي لا تنتهي... يغلقونها .. وفي ايام الحر الشديد يغلقونها... وفي زمن الحراثة والحصاد يغلقونها.. واذا اراد احدهم ان يكمل نصف دينه يغلقونها... واذا فارقت الحياة جسد احد الرجال فقد يغلقونها.. واذا غضبت السماء يغلقونها.. واذا دقت طبول الحرب بين شطري المخيم يغلقونها.. وعندما يتذكرون موتاهم وقتلاهم يغلقونها وعندما يتذكرون الذين رحلوا والذين سيرحلون يغلقونها.. وعندما يغرق العملاء والجبناء ازقة وطرقات المخيم بالخوف والطين والموت يغلقونها.. وفي زمن الحرب يغلقونها..والحكاية لم تنته بعد .. لم تنته بعد..

قصة هذه الفجوات مع قانون الاغلاق ذي ربطة العنق الرخيصة جدا هذا غريبة حقا.. كريهة حقا.. ومقرفة حقا.. حقا... حقا... ومع ذلك ، عندما يزور الصباح المخيم لعدة ساعات بتصريح من الحاكم العسكري او خفية عن اعين الرقباء والاخرين ، تراهم يتركون بيوتهم ونسائهم واحلامهم واحزانهم باصرار عنيد ليجلسوا هناك في فجواتهم الكريهة والحبيبة تلك المنحوتة في بطون الطين المعجون بالقش والريح والماء الذي يجدونه هنا وهناك... يجلسون في فجواتهم تلك يعرضون اشيائهم القليلة التي يملكوُن ولا يغضبهم تلك الاغورات والشوائل القليلة التي تتجمع في جيوبهم قبل ان يأوي كل

Digitized by Birzeit University Library

واحد الى اربعة الجدران التي خصصتها له الوكالة والتي تتكوم هناك في احدى جنبات المخيم وكما يفعل فقراء وجبناء العالم....

فمحمد يبيع الخبز العربي فقط... وعطا.. الملابس والاحذية المستعملة والقديمة ولا يهمه من يأتي .. ام بدر.. البندورة والخيار والزيتون المكبوس احياناً، والحزن والذكريات تارة اخرى.. حلوة.. تبيع ما تبيعه بقالة صغيرة جدا... صبحي .. مقهى صغير وعلى قد الحال ... ام خليل تنافس ام بدر في بيع البندورة والخيار والزيتون المكبوس واشياء اخرى.. نايف.. حلاق المخيم ولا منافس له.. يونس .. مكوجي المخيم ولا منافس له سوى محمود القوقا ذي التسعين عاما..جار محمد .. غانم.. بقالة صغيرة وتاجر من تحت لتحت.. فياض .. بقالة .. حسنة ..

.. بقالة.. ام سليمان.. بقالة.. يوسف العرجا.. بقالة ..

عودة لا يفعل شيئا منذ اكثر من ثلاثين عاما.. وتنتشر البقالات الصغيرة والكبيرة هناك وهنا.. وهنا وهناك كما ينتشر الجنود والصغار وكبار السن والحزن في هذا المخيم الذي لا يعرف وكما يبدو غير هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء...

وتتصلب رقبة ابو العبد، ويتحجر الغضب في عيني ام خليل، ويتدلى انف يوسف العرجا، وتتطلع عيون الاخرين بخوف وغضب وهلع..

الجنود يتدفقون من عدة شاحنات كبيرة وصغيرة كانت تقف تباعا هناك.. يهرعون الى مدخل المخيم الرئيسي.. يأمرون المارة بالتوقف.. يأمرونهم بالجلوس على الارض وايديهم على رؤوسهم ..آخرون يدخلون المخيم من جهاته الاربعة .. هرج ومرج يدب في طرقات وازقة وبيوت المخيم ... بعض الطلقات تنطلق هنا وهناك.. تلك الفجوات تغلق الواحدة بعد الاخرى.. احد الجنود يطلق كلاما مجنونا من حنجرته المنتفخة غيظا وغضبا... ام بدر وصبحي ونايف ويونس وابو العبد ويوسف العرجا ومحمود القوقا يتكومون هناك واعينهم تراقب بذل بندقية ذلك الجندي المصوبة الى صدورهم.. ام خليل التي لم تخضع لرجل في حياتها يصعد الدم الى راسها.. تفتح فمها الذي لا يريد ان يهدأ لتندفع انفاسها حارة من بين شفتيها المرتجفتين... يصفر وجه ام بدر وصبحي ونايف وغانم ويونس وابو العبد ويوسف العرجا ومحمود القوقا يمتقع وجه الجندي الذي يصرخ بوجهها الملىء بالتجاعيد والنسين والغضب.. ام خليل ترفع قبضة يدها في وجه ذلك الاحمق صارخة مهددة متوعدة.. ابو العبد تمتلىء قسمات وجهه بالشتائم التي تعلمها منذ الصغر، وام بدر تنقبض قسمات عينيها وشفتيها غيظا وغضبا...

طرقات وازقة وبيوت المخيم التي تعد على اصابع اليد الواحدة تغرق في صمت رهيب.. المارة والاخرون يختفون في بيوت الذل والطين تلك.. ريح باردة تحيط المخيم من جهاته الاربعة.. يتدفق جنود اخرون واخرون الى طرقات وازقة

المخيم.. يفتحون..ابواب ونوافذ بيوتها عنوة، يخرج

منها الكبار والصغار عنوة.. الرجالوالنساء والاطفال عنوة... يتراكض الجميع والخوف يملأ عيون الاطفال الذين يكرهون هذه اللعبة اللعينة.. يجلس الجميع ارضا وايديهم على رؤوسهم... الجنود يحيطون الجميع من الجهات الاربع.. يتقدم احدهم وبندقيته تتحفز كأفعى قاتلة بين يديه النحيلتين... يفتح فمه الاسود لتبدو اسنانه صفراء باهتة والجميع صامتون.. صامتون.. صامتون.. صامتون...

Digitized by Birzeit University Library

شعر

القدس في البال

جميل مكحل

المهنة بياع جوال
في الحمل توابل تفرط في سحر السمرة
انقلها بين الشوك وظل البرد
وعرقلة الاوحال
وابيع حوائج تختصر الاجال
تأتيك الات عل بكرة
والريح بسيط غال
من فوق جباه الناس تطل لي القمره
وتغني لي احل موال

ومشيت وفي قدس الاقداس
لمحتني عين البياعين فضربوني
بخضار ذبلت من تعرية الزمن
وفاكهة من عهد الترك
رأيت الباعة يسترقون النظر
ليكتشفوا

من حولي سر ضجيج الناس
فرأوا في اثري ارملة
في عمر الورد لها خلف الغيمة اعراس

جوال يحفرني الصوان
القدس كمثل الشرق ومثل الغرب
ومثل الناي لها صوتان
وكمثل الجرح يسيل دما
ويسيل به قيحا احيان
القدس رواق بيت حوش
ينبت الوان الصخرة

والقدس نوافذ في عمان
والقدس جرائد في عمان
القدس ترانيم تتضاءل
بين صراع القلق ومعجزة النسيان .

Digitized by Birzeit University Library

شعر

المنفى

مفلح طبعوني

قمة الحزن نواقيس المودة
والمغني
صار دمع الفجر في منفى الببات
المطارات غريبة
والممرات لعينة
المناديل لهيب الاحتراق
يا حبيبي
لم تغيرني الحواجز
لم انم عند المحطة
فالمدى يصطاد نوم الاغتراب
آه ما اقسى فجور الجبناء

* * * *

ذاب ملح البحر يا نهري المدى
انتهى زيت مصابيح الخيام
في المنافي

* * * *

الجنازات ملاحم
تسقط الشمس ظلالا
فوق درب الفقراء

* * * *

لون حبي برتقالي
يبعث الانوار في افق الجياد
خيلنا ملت قوانين الاغاثة
خيلنا موج البحار
رفها رف الفنار
طلها طل البروق
يتهاوى خوفها عند الغروب .

Digitized by Birzeit University Library

الى الكتّاب

- تفتح "الكاتب" صفحاتها للدراسات والابحاث والآراء والاعمال الادبية التي من شأنها ان تصهم في بلورة ثقافة وطنية فلسطينية ، او تنبع من حس بها.
- يجب ان تتبع الدراسات المرسلة الى "الكاتب" الطريقة العلمية من حيث الدقة وذكر اسماء الاعلام كاملة لدى ورودها للمرة الاولى وذكر المراجع عند اعتمادها.
- في حال ارسال مادة طويلة يمكن نشرها في اكثر من عدد او الاقتصار على اجزاء منها .
- معلومات موجزة عن نفسه على ان تتضمن الاسم الكامل ، المهنة ، والعنوان ، والهاتف ان وجد .
- يتم اعلام الكاتب قرار النشر او عدمه خلال ٤ اشهر من وصول مادته المرسلة . علما بان ما يرد للمجلة لا يعاد سواء نشر او لم ينشر .
- المادة المرسلة الى "الكاتب" تكون خاصة بها وحدها .
- نرجو ان تكون الكتابة بخط واضح او مطبوع على الالة الكاتبة ، وعلى وجه واحد من الورقة ، مع ترك مسافة معقولة بين الاسطر .
- تعنون المراسلات باسم رئيس التحرير الى : مجلة الكاتب / ص.ب (٢٠٤٨٩) - القدس - .

الى دور النشر

- تدعو "الكاتب" دور النشر والمؤلفين الى ارسال الكتب الجديدة او عناوين هذه الكتب لكي تختار المجلة منها ما تود مراجعته على صفحاتها.

* قسيمة اشتراك *

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر **مجلة الكاتب .**

قيمة اشتراك واحد لمدة على ان ترسل الى العنوان التالي:

الاسم _____

Name _____

العنوان _____

Adress _____

المدينة _____

City _____

البلد _____

Country _____

قيمة الاشتراك

للافراد	سنة واحدة	سنة	سنتين
الاشتراك المحلي	١٥ دولار	٢٥ دولار	٤٥ دولار
اوروبا	٢٥ دولار	٤٠ دولار	٧٠ دولار
بلدان اخرى	٣٠ دولار	٥٠ دولار	٩٠ دولار

الاشتراك السنوي	للمؤسسات المحلية	٥٠ دولار	
	اوروبا	١٠٠ دولار	
	بلدان اخرى	١٥٠ دولار	

ترسل قسيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي:

AL - KATEB,P.O.BOX 20489 EAST JERUSALEM.VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

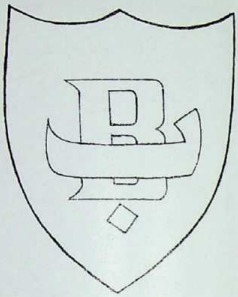

الأمان الكامل هو شعارنا

الوكالة العربية للتأمين

سعيد برانسي وإخوانه

القدس - ٢٠ شارع صلاح الدين - هاتف رقم : ٠٢/٢٨٥١٤١

ص.ب: ١٩٥٥٠ - القدس ٩١١٩٤

الناصرة - مركز البشارة التجاري - قرب العين - هاتف ٠٦٥/٥١٣٧٦/٧ - ٠٦٥.

Digitized by Birzeit University Library

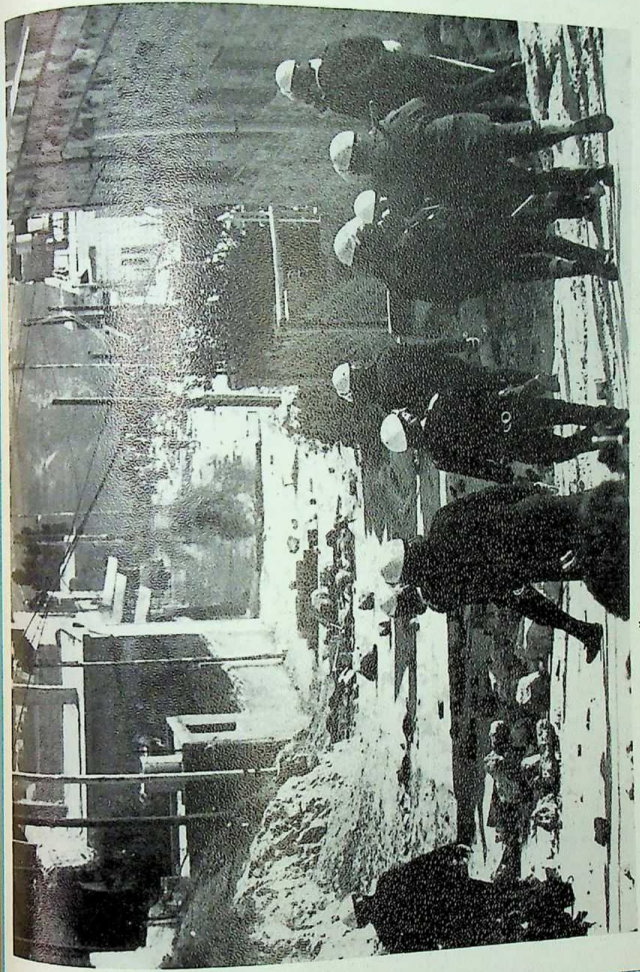

صورة لاحدى المظاهرات التي جرت مؤخرا في حي الطور - بالقدس - تصوير مركز يافا -

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL. (02)856931

Digitized by Birzeit University Library